الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne démocratique et populaire
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
Université Abdelhamid Ibn Badis- MOSTAGANEM
كلية الأدب العربي والفنون
Faculté de Littérature Arabe et des Arts
FLAA
كلية الآداب العربي والفنون
UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

قسم الدّراسات اللّغوية والأدبيّة

تخصّص: أدب عربي قديم

الواقعية المادية في الشعر العربي القديم

مذكّرة مقدّمة لاستكمال إجراءات الحصول على شهادة الماستر

&&& &&

إعداد الطّالبتين:

رحاب فاطمة الزّهراء

واضـــــح وفـــــــاء

إشراف الأستاذ:

د. بن دحان عبد الوهاب

2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne démocratique et populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
Université Abdelhamid Ibn Badis- MOSTAGANEM
كلية الأدب العربي والفنون
Faculté de Littérature Arabe et des Arts
قسم الدّراسات اللّغوية والأدبيّة

تخصّص: أدب عربي قديم

الواقعية المادية في الشعر العربي القديم

مذكّرة مقدّمة لاستكمال إجراءات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطّالبتين:

رحاب فاطمة الزّهراء

واضـــح وفـــاء

إشراف الأستاذ:

د. بن دحان عبد الوهاب

الدكتور عبد الوهاب بن دحان
أستاذ محاضر

2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

مقدّمة:

ترك الشّعر العربي القديم علامة بارزة في تاريخ الأدب، حيث جذب القرّاء والمهتمين من مختلف الثّقافات على مرّ العصور. وذلك لخصائصه ومحتواه وسماته المميّزة، والموضوعات المتكرّرة الموجودة في أبياته.

ولعلّ أثر هذا الشّعر فينا كان أهمّ أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، علاوة على أسباب أخرى منها، فتبلور في أذهاننا – وبتوجيه من الأستاذ المشرف – إشكالٌ، حاولنا صياغته في العنوان الآتي: " **الواقعية المادّيّة في الشّعر العربي القديم** "، وعلى الرّغم من الصّيغة التّقريريّة في العنوان إلاّ أنّه يتضمّن استشعارا اشكاليّا، يمكن صياغته في الاستفهام الآتي: كيف تجلّت الواقعية المادّيّة في الشّعر العربي القديم؟ وهل كان حتميّةً زمنيّةً أو اختيارا فكريّا؟

وقد سعينا بتوجيه من الأستاذ المشرف إلى الاطّلاع على دراسات سابقة تصبّ في هذا الاتّجاه، فوجدنا بعضَ العناصر منها أجزاءً متناثرةً في دراسات مختلفة، نذكر منها:

- ✓ السّبع المعلقات: مقاربة سيمائية– أنتربولوجية لنصوصها. لعبد الملك مرتاض.
- ✓ فلسفة المكان في الشّعر العربي: قراءة موضوعاتية جمالية. لحبيب مونسي.
- ✓ الصّورة السّمعية في الشّعر العربي قبل الإسلام. لصاحب خليل إبراهيم.
- ✓ في الشّعرية العربية: قراءَة جديدة في نظرية قديمة. لطراد الكبيسي.
- ✓ الانتماء في الشّعر الجاهلي. لفاروق أحمد سليم.

وقد تطلّبت طبيعةُ الموضوع تناولَه في ثلاثة فصول، مسبوقة بمقدّمة ومدخل، ومذيّلة بخاتمة. تحدّثنا في المدخل عن الشّعر العربيّ القديم وخصائصه ومضامينه.

أمّا الفصل الأوّل، فخصّصناه للحديث عن الوصف في الشّعر العربي القديم بين الواقع والخيال، فرأينا كيف يحقق الشّعر العربي القديم مزيجًا متناغمًا بين وصف الواقع والتعبير عن الخيال، واكتشفنا كيف استخدم الشّعراء العرب القدماء هذه الكلمة لتصوير العالم الملموس من حولهم، وعوالم الخيال التي سكنت عقولهم، وكيف تتشابك أبيات الشّعر العربيّ القديم في الفضاء المكاني، والفضاء الزّمني، وكيف يتداخل التّجسيم والتّجسيد، وكيف تسهم هذه العناصر في ثراء الشّعر العربي القديم.

وضمن هذا المحور، لاحظنا كيف وصف الشّعراء العرب القدامى الأماكن المادّية والجغرافية، وكذلك لحظات مختلفة من الزّمن في قصائدهم، وكشفنا كيف يتجلّى التّجسيم، من الناحيتين الجسدية والعاطفية، وتتبعنا كيف تتشابك هذه العناصر لإنشاء صور حيّة ومثيرة للذّكريات تنقل القارئ إلى إعدادات وتجارب مختلفة.

وفي المحور الثاني من هذا الفصل، عالجنا العلاقة بين الوصف الواقعي والخيال في الشّعر العربي القديم، وحلّلنا كيف استخدم الشّعراء العرب القدامى المحاكاة لخلق صور شعرية تمثّل مفاهيم مجرّدة أو حالات عاطفية، وكيف يلعب الخيال دورًا حاسمًا في إنشاء الاستعارات والتّشبيهات، الّتي تثري التّجربة الشّعرية، كما بحثنا في التّفاعل بين التّآزر والتّنافر الّذي يحدث عندما يتمّ الجمع بين هذه العناصر، وكيف تسهم في تفرّد وجمال الشّعر العربي القديم.

أماّ الفصل الثّاني فقد أفردناه للبحث في الصّورة الشّعرية بين رسم الخيال ونقل الواقع، فركّزنا على الصّورة الشّعرية كأداة لرسم الخيال ونقل الواقع في الشّعر العربي القديم، وحلّلنا كيف استخدم الشّعراء العرب القدامى الصّور الشّعرية لإثارة الأحاسيس وإثارة المشاعر لدى القارئ، وكيفية استخدام هذه الصّور لتمثيل الواقع بطريقة حيّة، ولإنشاء عوالم خيالية مليئة بالجمال والغموض.

وقد قسّمنا هذا الفصل كسابقه ولاحقه إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأوّل الصّورة الشّعرية بين قوّة الحواس وإلهام الأفكار، وضمن هذا المبحث، أظهرنا كيف استخدم الشّعراء العرب القدماء الحوّاس لخلق صور شعرية قويّة. وكيفية تقاطع البصر والسّمع واللّمس والشمّ والذّوق في الشّعر العربي القديم، لنقل الأحاسيس وإثارة المشاعر لدى القارئ، وقمنا بتحليل أثر إلهام الأفكار في الصّور الشّعرية لتقديم وجهات نظر عن الحياة والحبّ والطّبيعة وغيرها من الموضوعات المتكرّرة في الشّعر العربي القديم.

وفي المبحث الثاني، درسنا كيف تعكس الصّورة الشّعرية شغفًا بالنّمو وفهمًا لحتمية الانتماء، وكيفية استخدام الشّعراء العرب القدامى للصّور المتعلّقة بالطّبيعة، والحبّ، والبحث عن المعرفة، وأسلوب نقل هذه الصّور لفكرةٍ عالَم يتغيّر باستمرار وكيف يرتبط البشر به.

وجاء الفصل الثّالث مفصِّلا الحديثَ عن الشّعر العربي القديم بين القيم الإنسانية والميول المادّية، ودور الشّعر في التعبير عن القيم الإنسانية والاتجاهات المادّية في ذلك الوقت. وضمن المبحث الأول، رأينا كيف عكس الشّعر العربي القديم على القيم الإنسانية

للمجتمع في ذلك الوقت، وكيف تناول الشّعراء العرب القدامى المواضيع مثل العدالة والشّجاعة والكرم والحكمة في أبياتهم، وكيف تداخلت هذه القيم مع الهوية الثّقافية والتّطلّعات الفردية.

أمّا المبحث الثّاني، فناقشنا فيه الاتجاهات والصّفات المادّية الّتي تجلّت في الشّعر العربي القديم، وقمنا بتحليل كيفية تعامل الشّعراء مع العلاقة بين الثّروة المادّية والقيم الرّوحية، وكيف أثَّر ذلك على طريقة تصوّر الحياة، وكشفنا الأنماط ووُجهات النّظر المختلفة الموجودة في الشّعر العربي القديم فيما يتعلق بهذه القضية المثيرة للجدل.

وجدنا المنهج الوصفي صالحا لهذا البحث، من خلال التّركيز على وصف وتحليل سمات ومحتوى وموضوعات الشّعر العربي القديم، فمن خلال تقسيمنا المذكّرة إلى فصول ومباحث، وفّرنا هيكلًا لاستكشاف ووصف جوانب مختلفة من الشّعر العربي القديم. كان المنهج الوصفي مناسبا لتحليل ووصف السّمات والمحتويات والموضوعات الموجودة في الشّعر العربي القديم وفقًا للخطّة الّتي اخترناها.

وتجدر الإشارة إلى أنّنا قد واجهنا بعض الصّعوبات في بحثنا هذا، منها عدم تعوّدنا على هذا النّمط من البحوث الّتي تتطلّب الدّقة والعمق والمراجعة المستمرة.

وفي ختام هذا البحث لا يفوتنا أن نتوجه بالشّكر إلى أساتذتنا، ولا سيّما أستاذنا المشرف الدّكتور بن دحان عبد الوهاب. والله من وراء القصد

رحاب فاطمة

واضــح وفاء

مدخل

مدخل: الشّعر العربيّ القديم: خصائصه ومضامينه.

تعدّ الواقعية المادية من المفاهيم التي ظهرت في الشعر العربي القديم، وهي تعني التركيز على الواقع المادي الذي يحيط بالشاعر، والاهتمام بوصفه بدقة وواقعية. وكانت الواقعية المادية تتجلى في الشعر العربي القديم عبر تصوير الطبيعة بشكل واضح وواقعي، مع التركيز على الألوان والروائح والملمس والأصوات. كما تجلى ذلك في وصف الأماكن والمعالم الجغرافية والمدن والقرى والأسواق والأزقة بدقة وواقعية.

ويمكن القول إنّ الواقعية المادية كانت موجودة في شعر الجاهليين، ولكنها تطورت وازدادت دقة وواقعية في العصر العباسي، وخاصة في شعر البحتري والمتنبي. وكان البحتري يعتبر أحد أبرز شعراء الواقعية المادية، حيث كان يتميز بصفحات شعرية تصف الطبيعة بدقة وجمال، وكان يوصف الورود والأشجار والأنهار والجبال والصحاري والحيوانات بشكل مفصل.

وكان المتنبي يتميز بوصفه للأماكن والأحوال الاجتماعية بدقة وواقعية، وكان يصف الأسواق والقصور والحمامات والحدائق والسيوف والدروع والملابس والحلي بدقة ووصف مفصل. يقول المتنبي[1] في وصف شِعْبِ بَوّان:[2]

---

1 ديوان المتنبي. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1983، ص 541.

2 أرض بفارس بين ارجان والنوبندجان. وهي أحد متنزهات الدنيا المعروفة بالحسن والطيب والنزاهة وكثرة الأشجار وتدفق المياه وأنواع الأطيار. قالوا: جنان الدنيا أربع: صغد سمرقند وغوطة دمشق وشعب بوان ونهر الأبلة. وقال أحمد بن محمد الهمذاني: من النوبندجان إلى ارجان ستة وعشرون فرسخاً، بينهما شعب بوان، ومن حسنها أن جميع أشجار الفواكه نابتة على الصخر. (القزويني، زكريا بن محمّد. آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر ص 209)

مَغاني الشِّعب طِيباً في المَغاني بمنزلة الربيع من الزمـــــانِ

ولكنّ الفتى العَربيَّ فيـــــــها غرِيبُ الوجه واليدِ واللســـانِ

مَلاعِبُ جِنَةٍ لو سار فيـــــها سليمانٌ لسارَ بِتُرْجُمـــــــان

طَبَتْ فُرْسانَنا والخيـــــلَ حتى خشِيتُ وإن كَرُمْنَ من الحِرانِ

غَدَوْنا تَنْفُضُ الأغصـــــانُ فيـه على أَعْرافِها مِثْلَ الْجُمـــــانِ

ومن أبرز الشّعراء الذين تميزوا بالواقعية المادية في الشعر العربي القديم: الأعشى، وجرير، والفرزدق، والمعري. ويُعرف الشعر العربي القديم بثرائه وتنوعه، باختلاف الأنماط والمواضيع. والواقعية المادية هي إحدى الخصائص الموجودة في العديد من القصائد العربية القديمة، وخاصة في الشعر الجاهلي.

تشير الواقعية المادية إلى الوصف التفصيلي للأشياء والمشاهد والمواقف اليومية، وغالبًا ما يكون ذلك بعين ملاحظ موضوعيًا. في الشعر العربي القديم، يمكن العثور على هذا النوع من الوصف في القصائد التي تتحدث عن الطبيعة، والحيوانات، والحياة البدوية، والحرب، من بين موضوعات أخرى. مثال على قصيدة ذات واقعية مادية هي معلّقة امرئ القيس ففيها وصف الفرس بقوله[1]:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِـــــــرٍ مَعاً كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

1 ديوان امرئ القيس. تحقيق مصطفى عبد الشّافي. ط5، دار الكتب العلمية، بيروت،2004، ص 119.

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِبدُ عَن حـــالِ مَتنِهِ كَما زَلَّتِ الصَفـــــــواءُ بِالمُتَـنَزَّلِ

مِسَحٍّ إِذا ما السابِحاتُ عَلى الوَنى أَثَرنَ غُباراً بِالكَديـــــــدِ المُرَكَّـــلِ

عَلى العَقبِ جَيّاشٍ كَأَنَّ اِهتِزامَـــهُ إِذا جاشَ فيهِ حَميُهُ غَليُ مِرجَـــــلِ

دَريرٍ كَخُذروفِ الوَليدِ أَمَـــــــرَّهُ تَقَلُّبُ كَفَّيهِ بِخَيـــــطٍ مُوَصَّـــــلِ

مثال آخر هو قصيدة لزهير بن أبي سلمى، تصف مشهد قافلة تسير عبر الصحراء، مع تفاصيل دقيقة عن البضائع المنقولة والإبل وأحوال الطقس، من بين جوانب أخرى، "فقد كان دقيق الحسّ نافذ النّظر، مستقصيا ما يصف."[1]وهذه حاله في جميع وصفه "وإذا التفت إلى الظّعائن وصف الأنماط والكلل وفتات العهن وكان في ذلك قويّ الملاحظة يجيء بصور ملموسة ملوّنة"[2]، والرّسم المادّي الواقعيّ لا يحتكره شاعر عن غيره من شعراء الجاهليّة، بل هو سمّة عامّة، يقول عبد المالك مرتاض: "ونلاحظّ أنّ عمرو بن كلثوم لا تغادر الصورة المادّيّة الباردة الخامدة ذهنه في تشبيه جمال حبيبته."[3]

محتوى الشعر العربي القديم واسع ومتنوع، ويغطي مجموعة واسعة من الموضوعات، فالعديد من القصائد تمجّد جمال المرأة وفضيلتها، بينما تتناول أخرى موضوعات سياسية ودينية واجتماعية، وهناك أيضًا قدر كبير من الشعر الذي يحتفي بالطبيعة، مع وصفٍ حيّ للصحاري والواحات والحيوانات، فالوصف الحيّ سمّة بارزة في الشّعر العربيّ القديم، يقول ابن رشيق

1 جميل سلطان. زهير شاعر أهل الجاهليّة. دار الأنوار بيروت، ط1، 1973، ص 46.

2 نفس المرجع، ص 47.

3 السّبع المعلّقات، ص 462.

"الشّعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتّشبيه، مشتمل عليه، وليس به؛ لأنّه كثيراً ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أنّ هذا إخبار عن حقيقة الشّيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل. وأحسن الوصف ما نعت به الشّيء حتّى يكاد يمثّله عياناً للسّامع، كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جُؤْذَراً:[1]

فبات يذكيه بغير حديـــــــدة أخو قنص يمسي ويصبح مفطراً

إذا ما رأى منه كراعا تحركت أصاب مكان القلب منه وفرفـــرا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه، ومثل الموصوف في قلب سامعه."[2]

الشعر العربي القديم هو فن الكلام الذي كان يتميز بالإيقاع والقافية والبديع، ويعدّ من أبرز المظاهر الثقافية في العصـــور القديمة في العالم العربي. يتميز الشـــعر العربي القديم بالإيقاع الموســيقي، والقافية التي تتكرر في نهاية كل بيت، ذلك لأنّ "الشـــعر فنٌ ســمعي، وليس فنّاً بَصَـــرياً"[3] وكان يعتبر ذلك تحديًا للشـــاعر ومظهرًا لإتقانه للفن، كما يعتمد على البديع، أي استخدام التعابير الجميلة والمفاجئة والمبتكرة، والتي تزيد من جمالية النص، وكان المضمون في الشعر العربي القديم متنوعًا، ويشمل الحب والحرب والطبيعة والدين والأخلاق والسياسة والتاريخ وغيرها. وكان الشعراء يستخدمون هذه المضامين للتعبير عن مشاعرهم

1 الجؤذر: ولد البقرة

2 ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده. الجزء الثّاني، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط2، 1374هـ/ 1955، مطبعة السّعادة، القاهرة، ص 294.

3 العصر الجاهلي: 140.

وآرائهم وإبداعاتهم، مستخدمين الكثير من الرموز والاستعارات والمجازات، "فيقدم الشاعر صوراً سمعية رائعة عبر تشبيهات واقعية ممتزجة بالمجاز، متضمنة الغرض المقصود."[1] وكان ذلك يعزز جمالية النص ويعطيه مغزىً أعمق.

الشعر العربي القديم هو فنٌ أدبيّ فارق بخصائصٍ ومضامينٍ مميّزة، ويتميّز بعدّة جوانب تشكّل جوهر هذا الفن الأدبي، فالشعراء يستخدمون مجموعةً من الصور الشعرية لإيصال المعنى والتعبير عن المشاعر معتمدين على واقعيتهم في الوصف، قال قدامة: "الوصف إنّما هو ذكر الشّيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولمّا كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفا من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها، ثم بأظهرها فيه، وأولاها به، حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته. فمن ذلك قول الشّماخ يصف أرضا تسير النبالة فيها:

خلتْ غيرَ آثارِ الأراجيلِ ترتمِي تقعقعُ في الآباط منها وفاضهَا [2]"

يُعرف هذا الشعر العربيّ بتقاليده الشفوية الغنية وشكله المنظم والموزون، حيث يعتمد على استخدام القافية، وتوظيف لغة متقنة ورمزية، في هيكل عمودي معقّد وصارم يعتمد على طول المقاطع. أما بالنسبة لمحتويات الشعر العربي القديم، فعادة ما تركز على موضوعات

1 صاحب خليل إبراهيم. الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام. تحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 224.

2 العمدة، ج 2، ص 295. / قدامة بن جعفر. نقد الشّعر. ط 1، 1302، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ص 41.

مثل الحب والحرب والطبيعة والحياة في الصحراء. غالبًا ما كتب الشعراء عن قبيلتهم أو شعبهم واستخدموا الشعر للتعبير عن هويتهم وإعادة تأكيد مكانهم في المجتمع.

علاوة على ذلك، يُعرف الشعر العربي القديم أيضًا بلغته المدبجة وقدرته على نقل العواطف والمشاعر بقوة. غالبًا ما استخدم الشعراء الاستعارات والرموز للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بشكل أكثر وضوحًا. فالشعر العربي القديم هو شكل فني غني يعكس ثقافة وتقاليد المجتمع العربي في عصور ما قبل الإسلام.

وقد أشار عبد المالك مرتاض إلى الواقعية المادية في وصف أصحاب المعلقات في حديثه عن وصفهم المرأة بقوله: "وإنما ذهبنا إلى مادِّيَّةِ الوصف النسِويِّ في المعلّقات بخاصّة، وإلى مادّيّة الوصف من حيث هو بعامّة: لأنّنا لا نرى أيّ مُبرّرٍ: لا أخلاقيّ، ولا دينيّ، ولا قانونيّ، ولا نفسيّ، ولا اجتماعيّ، كان يحمل أولئك المعلّقاتيّين على التلميح دون التصريح، وعلى الترميز دون التقرير والتوضيح، ولعلّ الأوصاف الدقيقة التي حاول المعلّقاتيّون توصيفَ المرأةِ بها أن تكون من بين الآيات التي نتخّذ منها ظَهِيراً لنا على إبعاد رمزيّة المرأة، في المعلّقات، من سبيلنا".[1] فالواقعيّة المادّية كانت سمّة لا تخفى على الباحث المتتبّع لروائع الشّعر العربيّ القديم.

1 عبد الملك مرتاض. السبع المعلقات: مقاربة سيمائية– أنتربولوجية لنصوصها. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 440

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل: الوصف في الشّعر العربيّ القديم بين الواقع والخيال.

المبحث الأوّل: الحيز المكاني والحيز الزّماني والتّجسيم والتّجسيد.

المبحث الثّاني: المحاكاة والتّخييل بين التّضافر والتّنافر.

المبحث الأوّل: الحيز المكاني والحيز الزّماني والتّجسيم والتّجسيد.

مصطلحات "الحيّز المكاني" و "الحيّز الزمني" و "التجسيم" و "التجسيد" هي مفاهيم تمّت مناقشتها في تخصصات مختلفة مثل الفلسفة والفيزياء وعلم النفس والعلوم المعرفية. والحيّز المكاني هو موضوع شائع في الشّعر العربي القديم. غالبًا ما يصف الشعراء المناظر الطبيعية والأماكن وتجارب السفر. هذه الأوصاف ليست فقط للتأثير الجمالي، ولكنها يمكن أن توفر أيضًا سياقًا تاريخيًا أو ثقافيًا، ويلعب الحيّز الزمني أيضًا دورًا مهمًا في الشعر العربي القديم. غالبًا ما يصف الشعراء الأحداث والشخصيات التاريخية. من خلال هذه الأوصاف، ويمكنهم وضع وقتهم ومجتمعهم في سياق أكبر. غالبًا ما تتم مناقشة عابرة للحياة وحتمية الموت.

التجسيد والتجسيم هما تقنيتان شائعتا الاستخدام في الشّعر العربي القديم. من خلال عزو الخصائص البشرية إلى الأشياء أو الحيوانات أو المفاهيم المجرّدة، يمكن للشعراء التعبير عن المشاعر والأفكار المعقدة. تسمح التجسيدات بدورها للشعراء بالتقاط مفاهيم مجرّدة مثل الحبّ أو الموت في صور ملموسة.

يشير الحيّز المكاني إلى العالم ثلاثي الأبعاد الذي نعيش فيه، ويتكوّن من كائنات ومسافات بين تلك الأشياء. "وهو فضاء تتعدّد وظائفه ومعانيه بالنّسبة لصاحبه وللآخرين. وكلّ اعتداء

على جزء منه قد يولّد ثورة واحتجاجا. وقد يكون في صورة أخرى دلالة على التقرب والمحبة."[1] والزّمن جزء مهمّ من فهمنا للعالم المادّي وتنظر إليه الفيزياء على أنّه سلسلة متصلة تحددها كميات هندسية مثل الطول والعرض والارتفاع، غير أنّ " الزّمن في الخبرة البشرية لا الزمن الخارجي أو الفيزيائي، هو الزّمن المهم في [أيّ عمل أدبيّ] كالرواية."[2] أو أيّ جنس أدبيّ آخر.

يشير الحيّز الزمني إلى الطريقة التي ندرك بها وننظمها حيث يعتمد هذا المفهوم على فكرة أنّ الوقت منظّم بنفس طريقة الحيّز المكاني، وأنّ الأحداث تطرأ في تسلسل معيّن وفي فترات زمنية محدّدة. إنّه أيضًا جزء مهم من فهمنا للعالم المادي.

يشير التجسيد إلى التّفاعل بين الجسد والعقل حيث يُنظر إلى الجسم كجزء من عملية التّفكير. هذا المفهوم مهم في الفلسفة والعلوم المعرفية لأنه يشرح الطريقة التي تؤثر بها أجسامنا على قدراتنا وقراراتنا المعرفية. ويعرّفه بعض الباحثين بقوله: " الألفاظ الدالة على شيء محسوسٍ يدرك بالحواس الظاهرة، في مقابل تلك الدالة على شيءٍ معنويّ ذهنيّ مجرد."[3]

الحيز المكاني والحيز الزّماني والتّجسيم والتّجسيد هي مفاهيم شعرية أساسية في الشعر العربي القديم. يعتبر الحيز المكاني والحيز الزّماني وسيلة لإبراز الصورة الشعرية بشكل أفضل،

---

1 حبيب مونسي. فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة موضوعاتية جمالية، اتحاد الكتاب العرب، 2001 دمشق، 2001، ص 12.

2 شجاع العاني. قراءات في الأدب والنقد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999–ص 175.

3 علي موسى عكلة الكعبي. دلالةُ الألفاظِ بين التجسيد والتجريد. مجلة دواة، المجلد5، العدد 18، 2018، ص14.

حيث يتم استخدام المكان والزمان كعناصر أساسية في تصوير المشهد وتوصيل المشاعر والأحاسيس إلى القارئ، " وهو فضاء تتعدّد وظائفه ومعانيه بالنسبة لصاحبه وللآخرين. وكلّ اعتداء على جزء منه قد يولد ثورة واحتجاجا. وقد يكون في صورة أخرى دلالة على التقرب والمحبة."[1]

فيما يتعلق بالتجسيم والتجسيد، فهما يعنيان استخدام الأشياء والكائنات غير الحيّة لتصوير الأفكار والمشاعر، أو إعطاء الأشياء الحية خصائص الكائنات غير الحية. وتعد هذه الفنية من أهم الفنيات التي يستخدمها الشعراء العرب القدماء.، وذلك يعني إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة، يساعد على تجسيدها. وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه إلى الأفهام. وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والأخلاقية، والزمنية.[2] فالتجسيد والتجسيم، موجودان بشكل واسع في الشعر العربي القديم. فمثلاً، يمكن الإشارة إلى القصيدة "الخمرية" للشاعر العربي أبي نواس، حيث يتم تجسيد الخمرة بشكل جميل وفنيّ، حيث يصف أبو نواس الخمرة بأنّها كالمعشوقة الغائبة، ويصف كأنها ترقص في الكأس:[3]

صَفراءُ لا تَنزَلُ الأَحزانُ ساحَتَها لَو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتهُ سَـــــرّاءُ
قامَـــــت بِإِبريقِها وَاللَيلُ مُعتَكِرٌ فَلاحَ مِن وَجهِها في البَيتِ لَألأُ

1 حبيب مونسي. فلسفة المكان في الشعر العربي، ص 13.
2 نفس المرجع، ن ص.
3 ديوان أبي نواس ص.

فَأَرسَلَت مِن فَمِ الإبريقِ صافِيَةً كَأَنَّما أَخذُها بِالعَينِ إِغفـــــاءُ
رَقَّت عَنِ الماءِ حَتّى ما يُلائِمُها لَطافَةً وَجَفا عَن شَكلِها الماءُ
فَلَو مَزَجتَ بِها نوراً لَمازَجَـــــها حَتّى تَوَلَّدُ أَنوارٌ وَأَضـــــواءُ

بشكل عام، يعتبر الحيز المكاني والحيز الزّماني والتجسيد والتجسيم من المرتكزات الأساسية في الشعر العربي القديم، ويُعدّ الحيّز والزمان والتجسيم والتجسيد أمورًا مهمة في تكوين الصورة الشعرية وتفعيل المشاعر والأفكار.

كان يستخدم الوصف الدقيق للأماكن والمواقع والتضاريس في الشعر العربي القديم لخلق صورة حية وواقعية للبيئة التي يجري فيها الحدث أو تتحرك فيها الشخصيات. وكان يعتمد في ذلك على الوصف الدقيق للطبيعة والتضاريس والأماكن والمدن والقرى، وكان يسعى إلى إيصال الصورة البصرية للقارئ بأفضل طريقة ممكنة. ويَعتبِر محمّد الصّالح السليمان "أنّ اختيار المكان يعكس موقفاً فكرياً لهذا الشاعر أو ذاك، وأنّ للدوافع الوجدانية والاجتماعية دوراً كبيراً في حض الشعراء للرّحيل خيالياً"[1] وإنشاء صورهم ثم بثها في المتلقي.

أما بالنسبة للحيز الزماني، فكان يستخدم في الشعر العربي القديم لإيصال فكرة الزمن وما يتعلق به من تغيرات وتطورات، وكان الشعراء يستخدمون الوصف الدقيق للأحداث والتواريخ والفصول لخلق جو من الإحساس بالتاريخ والزمن وتعزيز فكرة التغيير والتطور. "فحراك المخيال

1 محمّد الصّالح السليمان. الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000 المقدمة.

والذاكرة مرتهن بحراك الزمن. وعندما نُسقط عنصر الزمن الشعري عنهما يصبحان ضرباً من الهلوسات. وتواشج الرؤية والرؤيا مع الحيّز الزمني، علاقة حيوية في تحريك النص الشعري. وعندما يُنظر إليهما بمعزل عن أزمنتهما، يصبحان نموذجاً هذيانياً لخطابٍ أيديولوجي ما."[1] فكان الشّاعر القديم يحاول بثّ الرّوح في الحيز الزّمني بالرّغم من وصفه المادي له.

أما بالنسبة للتجسيم والتجسيد، فكانت هذه الأساليب مهمة في خلق صورة قوية وحيوية للمشاعر والأفكار والأحداث. وكان يستخدم الشعراء في العديد من الأحيان الوصف الدقيق للأشياء والأفعال والمشاعر والأحداث لتحقيق هذا الغرض، وكانوا يستخدمون العديد من الرموز والمجازات والمتشابهات والتشبيهات لتحقيق هذه الغاية، فحين يقول قيس بن الملوّح:[2]

فَأَصبَحتُ مِن لَيلى الغَداةَ كَقابِضٍ عَلى الماءِ خانَتهُ فُروجُ الأَصابِعِ

فالتمثيل هنا وإن كان لا يفيد معنىً غريباً نادراً يحتاج إلى بيّنة وإثبات، إلاّ أن الوصف كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته وأصله، فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه، وَوَضْع قياس من غيره يكشف عن حَدّهِ ومبلغه في القوة والضعف والزيادة والنقصان.[3] وبهذه الطريقة، كانت الأدوات الشعرية التي استخدمها

1 جمال الدين الخضور. قمصان الزمن: فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي: دراسة نقدية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 22

2 طراد الكبيسي. في الشعرية العربية: قراءَة جديدة في نظرية قديمة. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 68.

3 نفس المرجع، نفس الصّفحة.

الشعراء في الحيز المكاني والحيز الزماني والتجسيم والتجسيد تعزز من قوة الصورة الشعرية وتجليها.

بشكل عام، يمكن اعتبار الحيّز المكاني، والحيّز الزمني، والتجسيم، والتجسيد جوانب مركزية في الشعر العربي القديم. إنّها تسمح للشعراء بالتعبير عن موضوعات معقدة بشكل ممتع من الناحية الجمالية. والشعر العربي القديم غني بالمواضيع التي تتناول العلاقة بين الإنسان والمكان، سواء في أبعادها المكانية أو الزمانية، ويمكن أن يكون الحيّز ماديًا ومجازيًا، وغالبًا ما يستخدم للتعبير عن المشاعر.

غالبًا ما يركز الشعر العربي القديم على جمال المناظر الطبيعية، وخاصة الصحراء. يصف الشعراء بتفصيل كبير الرمال والكثبان والجبال والواحات وكذلك الشمس والقمر والنجوم. كما يتم إيلاء الكثير من الاهتمام للأشياء المادية، مثل الخيام والسيوف والمجوهرات. فإن الأصمعي قال: أحسنُ ما قيل في وصف البرق والغيث قول عدي بن الرفاع:[1]

فقمتُ أخبره بالغيبِ لم يَرهُ والبرقُ إذانا محزون له أرقُ

وقال صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري.[2]

أَتَتكَ المَطايا تَهتَدي بِمَطِيَّةٍ عَلَيها فَتاً كَالنَصلِ يُؤنِسُهُ النَصلُ

1 المرزوقي. الأزمنة والأمكنة، ص 1509.

2 الخالديان محمّد وسعيد ابنا وعلة. الأشباه والنّظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليين والمخضرمين. 255.

وَرَدنَ خِلافَ اللَيلِ وَاللَيلُ مُصدِرٌ أَواخِرُهُ وَالفَجرُ عُريانُ أَو فُضلُ

وقال أحدهم في وصف القمر:[1]

بَدَأَنَ بنا وابْنُ اللَّيَالي كَأَنَّهُ حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ

فما زِلْتُ أُفْنى كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ[2]

بالإضافة إلى البعد المكاني، يتعامل الشعر العربي القديم أيضًا مع البعد الزمني. غالبًا ما يفكر الشعراء في الماضي والمستقبل، فضلاً عن زوال الحياة والفناء. كما يستخدم الشعر العربي للاحتفال بفصول السنة وخاصة الربيع الذي يرتبط بالتجديد والبعث، يقول الأخطل:[3]

بَهِجَ الرَبيعُ لَها فَجادَ نَباتُها وَنَمَت بِأَسحَمَ[4] وابِلٍ[5] هَطّالِ

---

1 هو نصيب بن رباح أبو محجن.(? – 108 هـ / ? – 726 م)

مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح، كان عبداً أسوداً لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية، وأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. وكان يتغزل بأم بكر (زينب بنت صفوان) وهي كنانية، وفي بعض الروايات (زنجية).

له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة، وسئل عنه جرير، فقال: أشعر أهل جلدته، وتنسك في أواخر عمره، وكان له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب، فقيل له: ما حال بناتك؟ فقال: صببت عليهن من جِلدي فكسدن علي! قال الثعالبي: وصرن مثلاً للبنت يضن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها.

2 الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تحقيق عبد الأمير مهنا، الجزء الأوّل، ط1، 1992، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص 86.

3 ديوان الأخطل. شرح محمّد مهدي صلاح الدّين. ط2، دار الكتب العلمية بيروت، 1994، ص 475.

4 الأسحم: السّحاب الأس القريب من الأرض.

5 الوابل: الكثير المطر.

حَتّى إِذا اِلتَفَّ النَباتُ كَأَنَّهُ لَونُ الزَخارِفِ زُيِّنَت بِصِقالِ

ويقول البحتري: [1]

أَتاكَ الرَبيعُ الطَلَقُ يَختالُ ضاحِكاً مِنَ الحُسنِ حَتّى كادَ أَن يَتَكَلَّما

وَقَد نَبَّهَ النَوروزُ في غَلَسِ الدُجى أَوائِلَ وَردٍ كُنَّ بِالأَمسِ نُوَّما

من حيث التجسيم، غالبًا ما يشير الشعر العربي القديم إلى الطبيعة في شكل مشخص، وينسب إليها الخصائص البشرية. على سبيل المثال، يمكن وصف الريح بأنها عاشق غيور يهمس بأسرار في أذن الرمال، في حين يمكن تجسيد القمر على أنه امرأة جميلة تمشي في السماء، أو أنّه مغرّب، كقول القاضي التّنوخي:[2]

لم أَنسَ دجلَة والدجى مُتَصَوّبٌ والبدرُ في أُفقِ السماءِ مُغَرّبُ

فكأنّها فيه بِســـــــاطٌ أزرقٌ وكأنه فيـــــــها طِرازٌ مُذهَبُ

فيما يتعلق بالجسد، غالبًا ما يركز الشعر العربي القديم على جسم الإنسان وحواسه. يصف الشعراء جمال العيون، والجلد، والشفتين، واليدين، وكذلك حاسة اللمس والذوق. غالبًا ما تُستخدم استعارة الجسد البشري للتعبير عن العواطف والمشاعر، مثل القلب الذي ينبض بسرعة عندما تكون في حالة حب. "وكما تتجلّى الحياة في الجسد يتجلى الشّعر في اللّغة، أي إن اللّطيف يتجلّى في الكثيف. والتواصل يتم بالجسد وعن طريق اللّغة أو اللون أو الإشارة وشتى الوسائط

1 ديوان البحتري. تحقيق: حسن كامل الصيرفي. ط3، دار المعارف، القاهرة، ص 2090.

2 أبو منصور الثّعالبي. يتيمة الدّهر في شعراء أهل العصر. ص 170.

الاصطلاحية الأخرى، وهي وسائط كثيفة تحتاج إلى شحنة عالية من الطاقة كي تصبح موصلة."[1] لذا يتعامل الشعر العربي القديم بطريقة شعرية وعميقة مع العلاقة بين الإنسان والحيّز، سواء في بعده المكاني أو الزمني، ويستخدم مجموعة متنوعة من الموارد الشعرية، مثل التجسيم والتّجسد، للتعبير عن المشاعر، لهذا كان الشعر العربي القديم غنيّا بالصور والمجاز، ومفهوم الحيّز المكاني والزماني وكذلك التجسيد والتشكيل.

غالبًا ما يستخدم المكان والزمان لوصف الأماكن واللحظات والحالات العاطفية. استخدمت القصائد العربية القديمة صورًا للطبيعة مثل الجبال والأنهار والغابات للتعبير عن الحالة المزاجية المختلفة. على سبيل المثال، في قصيدة للمتنبي، يوصف الجبل المرتفع بأنه رمز القوة والعظمة، بينما يرتبط الوادي العميق بالحزن والخراب.

التّجسيد والتّجسيم من العناصر الشائعة أيضًا في الشعر العربي القديم. تُستخدم لوصف الطبيعة أو الأشياء غير البشرية في شكل بشري. على سبيل المثال، يمكن تجسيد الشجرة وتصويرها على أنها تمتلك مشاعر وسمات بشرية. يشير التجسيد إلى تحويل المفهوم المجرد إلى كائن ملموس. على سبيل المثال، في قصيدة للشنفري، يتجسد الحب في صورة امرأة جميلة ذات شعر طويل وعيون سوداء، يقول:

"فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ واسبَكَرَّتْ وأظلمت فَلَوْ جُنّ إِنْسَان منَ الحُسْنِ جُنَّتِ

1 ميخائيل عيد. أسئلة الحداثة بين الواقع والشطح: آراء. دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص8.

أي دقّت خاصرتها، وجلّت عجيزتها، وامتدّ قوامها، واسودّ شعرها، فلو كان إنسان يُجَنُّ من فرْط الحُسن لجُنّت هذه."[1] وهذا وصف مادّيّ فيه تجسيم وتجسيد.

كانت المساحة المكانية والحيّز الزمني من الموضوعات المهمة في الشعر العربي القديم، والتي ارتبطت إلى حدّ كبير بوصف البرية وتجارب المسافرين. ووصفت العديد من القصائد جمال الصّحراء وقسوتها، فضلاً عن التجارب والمشاعر التي عاشها الرُّحَّل في مثل هذه الظروف.

تعكس المساحة الزمنية في الشعر فهم الزمن في الثقافة العربية. وصفت العديد من القصائد الفصول والتغيرات في الطقس والظواهر الطبيعية الأخرى التي أثرت على حياة الناس. تم استخدام الوقت أيضًا لوصف المشاعر والتجارب المرتبطة بالحب والانفصال والحالات العاطفية الأخرى.

في العصر الجاهلي، كان الشعراء يتحدثون عن هذه المسائل بشكل عام ويصوّرونها، وفي العصور الموالية، بدءا من العصر الأمويّ، يظهر إعجاب الشّعراء بالمرأة في النمط الحضري المترف... وعندما يصوّرون مشي النساء المتبخترات والمتأنقات، يعبّرون عن جمال أجسادهن بكلماتهم الملوّنة، ويتكامل جمال الصّورة وجمال الحركة، وينسجمان بشكل رائع، ويتشكل هذا

1 الثعالبي، أبو منصور. لباب الآداب. تحقيق أحمد حسن لسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص 126.

المشهد الجذّاب. فإنهن في تمايلهن يشبهن الأعواد النّاعمة التي تتمايل بها الرياح بلطف وحنان[1].

فهنّ في تمايلهن الرّقيق يشبهن العيدان الناعمة التي تتأرجح بلطف ورعاية تحت هبات الريح، كما قال جرير:

حورُ العُيونِ يَمِسنَ غَيرَ جَوادِفٍ هَزَّ الجَنوبِ نَواعِمَ العيدانِ

ويراقب الفرزدق حركتهن المتأرجحة المتثاقلة والتثنية التي تكاد تكون كسولة وفاترة، فيقول:

حَوارِيَّةٌ تَمشي الضُحى مُرجَحِنَّةً وَتَمشي العَشِيَّ الخَيزَلى رِخوَةَ اليَدِ

ويقرن الأخطل مشيتها بمشية النوق المتبخترة عندما تسمع هدير الفحل ينادي عزيزتها، فتزيد من تيهها وتمُيلها لعلمها أنها تقع من نفسه الموقع الذي تريد، فيقول:

يَمشينَ مَشيَ الهِجانِ الأُدمِ روَّحَها عِندَ الأَصيلِ هَديرُ المُصعَبِ القَطِمِ

ويضيف إلى هذه اللقطة بعض عناصر الصحراء، حيث تتعثر خطوات الإبل في الرمال المتناثرة من التلال الرملية المحيطة بها، فيردف قائلا:

يَمشينَ مَشيَ الهِجانِ الأُدمِ يوعِثُها أَعرافُ دَكداكَةٍ مُنهالَةِ الكُثُبِ [2]

1 يُنظر: فاطمة تجور. المرأة في الشعر الأموي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص332.

2 نفس المرجع، نفس الصّفحة.

المبحث الثّاني: المحاكاة والتّخييل بين التّضافر والتّنافر

المحاكاة والتّخييل هما من الأساليب الشعرية المهمة في الشعر العربي القديم، وهما يمثلان تضافرًا وتنافرًا في الشعرية العربية. في البداية، يمكن القول إنّ المحاكاة والتّخييل تتضافران في الشعر العربي القديم بسبب أن كلاهما يعتمد على الخيال والإبداع والتجسيد، ويهدف كلاهما إلى توصيل المعاني والأفكار بطريقة شعرية مميزة ومبتكرة. فالمحاكاة تعني تشبيه شيء بآخر، بحيث يتم استخدام صفة أو خاصية من شيء معين لوصف شيء آخر، وتستخدم هذه الأسلوب بغرض التأكيد على المعنى المراد وتوصيله بصورة جذابة ومبتكرة. "مجال النصّ لا يقتصر على ما فيه من علاقات متناغمة كما الحال عند البنيويين، بل للمحاكاة شأن في تحقيق هذا المجال وذلك إذا ما استطاع المبدع إبداع جديد اتكاءً على التراث السابق"[1]. وعلى النقيض، فإنّ التخييل يتمحور حول خلق صورة خيالية أو رؤية مستقبلية، ويستخدم هذا الأسلوب بغرض توصيل الفكرة بشكل مبتكر ومثير للاهتمام. ومن نتيجة الصورة في التخييل أنّها "تزعزع التجذر المرجعي للكلمات وتكثّف السيرورة الدنيوية– السببية للتاريخ".[2]

ومع ذلك، يمكن أن يتنافر الاستخدام الزائد للمحاكاة أو التخييل في الشعر العربي القديم، وهذا يحدث عندما يتم استخدام هذين الأسلوبين بشكل مفرط أو مبالغ فيه، مما يؤدي إلى فقدان البساطة والوضوح والأصالة في الشعر. على سبيل المثال، قد يصبح الاستخدام الزائد

1 عكام، فهد، الشعر الأندلسي نصاً وتأويلاً، دار الينابيع، دمشق، 1995، ص:89.

2دانييل–هنري باجو. الأدب العام والمقارن. ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، 1997 دمشق، ص 238.

للتشبيهات في المحاكاة مملاً ومبتذلاً، ويمكن أن يعتبر استخدام التخييل المفرط على أنه شكل من أشكال الخروج عن المألوف. غير أنّ الشّاعر "حين يرى ديار قومه الدّارسة شديداً، وكان يحلم باستعادة الزمن ليراها وقد أضحت عامرة ومأهولة بالأهل والأحباب والأصحاب. ولكن استحالة تحقق الحلم تجعل الأعرابيّ الشاعر يلوذ باللغة والخيال ليبعث الحياة الإنسانية في الأطلال والرسوم كقول عنترة[1]:

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاِسلَمي

وقول زهير[2]:

فَلَمّا عَرَفتُ الدارَ قُلتُ لِرَبعِها أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِسلَمِ

إنّ عنترة وزهيراً يشخّصان الديار الدارسة بإسباغ صفة القدرة على الكلام والحوار عليها، وتلك من أبرز صفات الإنسان، ولاسيما الجاهلي الذي يعتدّ بالفصاحة والبيان. ولكن المحاولات الفنيّة لبعث الإنسانية في الأطلال والرسوم تصيب الذين يودّون جعل الحلمَ حقيقيةً بالخيبة.[3] ومن هنا، يمكن القول إن المحاكاة والتّخييل يتضافران ويتنافران في الشعر العربي القديم، ويعتمد النجاح في استخدامهما على القدرة الفنيّة للشّاعر.

1 –شرح ديوان عنترة ص 148.

2 –شعر زهير ص7. الربع: موضع الدار حيث أقام أهله في الربيع وغيره.

3 فاروق أحمد اسليم. الانتماء في الشعر الجاهلي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998 ص 250.

الشعر العربي القديم تراث غني ومتنوع يغطي مجموعة واسعة من الموضوعات. وقد كان دور المحاكاة والخيال في خلق الانسجام أحيانا كثيرا والتنافر في بعض الأحيان مهمًا.

المحاكاة هي قدرة الشاعر على إعادة إنتاج مواقف وأماكن وأحداث حقيقية في قصيدته. يقول مرتاض "إنّ الشاعر العربيّ القديم لم يكن قادراً على قيل الشعر خارج المكان الذي كان يملأ عليه نفسه وروحه، ولا بالتخيّل خارج حبل الحنين العارم الذي كان يشدّه إلى هذا المكان شدّاً؛ فكان المكان، بالقياس إليه، بمثابة المادّة الكريمة التي يستمدّ منها إلهامه؛ بينما كانت الحبيبة، التي تقطنه، ثم تحمّلت عنه وزايلته إلى غير إياب، هي ينبوع الإلهام الثّرّ الذي كان يستلهمه: فيجهش بالبكاء، وتتبجّس نفسه بالحنين."[1] والتخيل هو قدرة الشاعر على خلق عالم غير موجود، ولكن يمكن للقارئ أو المستمع أن يدركه على أنه عالم حقيقي. لعبت كلتا القدرتين دورًا مهمًا في الشعر العربي القديم واستخدمتا لخلق الانسجام أو التنافر.

في الشعر العربي القديم، كانت هناك قواعد واضحة للقافية والمقاييس، مما ساعد الشاعر على تكوين صورة صوتية متناغمة. ومع ذلك، استخدم الشعراء أيضًا المحاكاة والخيال لخلق التنافر لإيصال التوتر والصراع والمشاعر المؤلمة، فـ" الإيقاعَ الداخليّ، كما يجب أن يتبادَرَ إلى الأذهان، نقصد به إلى العناصر الصوتيّة، أو السمات اللّفظية، التي تأتَلِفُ منها الوحدة الشعريّة (البيت) بِجَذاميرها، والتي تشكّل هي في ذاتها، مع صِنْوَتِها، هيئة النص الشعريّ

1 عبد الملك مرتاض. مقاربة سيمائية– أنتربولوجية لنصوصها. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999– ص 91.

المطروح للقراءة، بحذافيره."[1] وهكذا لعبت المحاكاة والتخيل دورًا مهمًا في خلق الانسجام والتنافر في الشعر العربي القديم. استخدمها الشعراء لنقل مجموعة متنوعة من المشاعر وإنشاء صور متعددة الأوجه قادرة على الانسجام مع المقاييس والقافية، "وتلك العناصر الصوتيّة التي تتبادل المواقع التركيبيّة، داخل لغة ما، هي التي تمثّل النظام اللغويّ للكلام؛ لتلك اللغة التي يغتدى اللعب بها شكلاً أدبيّاً يبهر ويسحر."[2] ولكن يمكن أيضًا كسرها لنقل الصراعات والأحاسيس غير السّارة.

وهكذا نلاحظ أنّ المحاكاة والخيال مفهومان أساسيان في الشعر العربي القديم. في هذا التقليد الشعري، كان الشعراء قادرين على إنشاء صور بصرية وسمعية قوية للغاية من خلال استخدام تراكيب الكلمات والشعر، "والصورة السمعية للكلمات من أكثر الأحداث الذهنية وضوحاً."[3] من حيث الانسجام والتنافر، يركز الشعر العربي القديم على خلق انسجام سليم ودلالي داخل السطور وفي القصيدة بأكملها. يتم تحقيق هذا التناغم من خلال استخدام الهياكل الإيقاعية والمفردات المختارة بعناية لتتناسب مع هذه الهياكل. "غير أنّ التشبيهات الجيدة لا تتشكل إلا بعد خفة حدة التوتر الآني وإتاحة فرصة للتأمل."[4] في الوقت نفسه، غالبًا ما استخدم الشعراء العرب القدامى التنافر لخلق تأثيرات شعرية. يمكن تحقيق ذلك باستخدام كلمات لا

---

1 نفس المرجع، ص 399.

2 ن م، ص 148.

3 مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز: 171. نقلا عن: صاحب خليل إبراهيم. الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام. دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 18.

4 صاحب خليل إبراهيم، ص 226.

تتناسب تمامًا مع الهياكل الإيقاعية أو الدلالية للخطوط، أو باستخدام الصور التي تسبب التوتر داخل القصيدة.

تعتبر المحاكاة والتخيل جنبًا إلى جنب مع الانسجام والتنافر عناصر مهمة في الشعر العربي القديم. تم استخدام هذه المفاهيم لخلق صور شعرية قوية ونقل المشاعر بطريقة فريدة ومعبرة. في الشعر العربي القديم، كان التشبيه والصور مفتاح الانسجام والتنافر. "وسجل التشبيه تفوقاً واضحاً في دواوين الشعراء ... ولكن بعض هذه التشبيهات تنقصه الجاذبية والجمال وربما فقد التوهج والشاعرية."[1] في الشعر العربي، عادة ما يكون للكلمة الواحدة معانٍ متعددة، تُستخدم في سياقات مختلفة. لذلك، كان اللعب بمعاني مختلفة لنفس الكلمة من الأساليب المفضلة لدى الشعراء. كانت هذه طريقة أكثر فاعلية للتعبير عن الانسجام والتنافر.

من التقنيات المهمة الأخرى التي تم استخدامها في الشعر العربي هي الجناس. غالبًا ما اقتبس الشعراء كلمات وخطوط أسلافهم في قصائدهم. بالإضافة إلى ذلك، فقد تأثر بأعمال الأجداد ومخيلاتهم في قصائده. وبهذه الطريقة، قدم الشعراء موضوعات من عصرهم من خلال صورهم التي كانت في زمن أسلافهم، وربطوا بين عصورهم.

غالبًا ما كان الشعر العربي القديم يكثف موضوعات المحاكاة والخيال، فضلاً عن الانسجام والتنافر، "لأنّ الشّعر لا تُعتبر فيه المادة. بل ما يقع في المادة من التخييل"[2]. وتم

1 فاطمة تجور. المرأة في الشعر الأموي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص 470.

2 طراد الكبيسي. في الشّعرية العربيّة، قراءة جديدة في نظرية قديمة. ص 78.

استخدام المحاكاة والخيال بشكل متكرر في الشعر لإنشاء صور حية وقوية، غالبًا ما تعتمد على العالم الطبيعي، مثل وصف المناظر الطبيعية الصحراوية أو البحر العاصف. من خلال استخدام اللغة التصويرية والاستعارات، تمكن الشعراء من التقاط جوهر مشهد أو تجربة بطريقة كانت لها صدى عاطفي ومحفزة فكريا.

في الوقت نفسه، غالبًا ما استجلى الشعر العربي القديم التوتر بين الانسجام والتنافر، سواء في العالم الطبيعي أو في العلاقات الإنسانية. فمثلا "العلاقة الجدلية بين الأصدقاء قد تؤدي إلى تمتين عرى الصّداقة، حين تتقارب أهواؤهم ومشاربهم، وتتشابه أقوالهم وأفعالهم، فمجموعة الأصدقاء تتشكل من أشخاص متشابهين، يقول طرفة[1]:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينَهُ فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

وقد تؤدي العلاقة الجدلية بين الأصدقاء إلى انفراط عقد الصداقة حين تتنافر قلوبهم، وتتضاءل مصالحهم المشتركة؛ فالنابغة الجعدي لا تنقاد نفسه إلى صديق ماكر مخادع، ولا يرى حلاً لذلك إلا بهجره[2]، وعبيد بن الأبرص لا يبتغي ودّ أمرئ قلّ خيره، ولكنّه يصل الصديق، ولا يتجنبه، يقول عبيد[3]:

وَلا أَبتَغي وُدَّ اِمـــــرِئٍ قَلَّ خَيرُهُ وَلا أَنا عَن وَصلِ الصَديقِ بِأَصيَدِ."[4]

1 ديوان طرفة ص151.

2 يُنظر شعر النابغة الجعدي ص25- 26.

3 ديوان عبيد ص55.

4 الانتماء في الشّعر الجاهلي، ص 363.

كثيرًا ما استكشف الشعراء موضوعات الصّراع في محيطهم المادّي، بل وفي مخيلتهم، وقد "أثار بعض الشّعراء في رحلاتهم الخياليّة مشكلة الرّوح والجسد، وعبّروا عن إحساسهم بالصراع بينهما"[1] قديما وحديثا، مستخدمين حرفتهم لنقل المشاعر المعقدة ودوافع شخصياتهم.

يمكن العثور على أحد الأمثلة المعروفة على هذا التوتر بين الانسجام والتنافر في أعمال الشاعر أبي نواس الذي اشتهر بقصائده الصريحة والمثيرة للجدل حول الحب والرغبة. غالبًا ما مزج أبو نواس في شعره التناقضات والصّراعات بين الرغبة الإنسانية والأعراف الاجتماعية، يقول أبو نواس:[2]

بكَرت تبصّرني الرشـــــادَ كأنني لا أهتدي لمذاهبِ الأبـــــرارِ

وتقول ويحكَ قد كبرتَ عن الصّـــبا ورمى الزمانُ إليكَ بالأقــدارِ

فإلى متى تصبو وأنت متـــــــيّمٌ متقلّب في ساحةِ الأقـــــذار

أوّما ترى العصرين عن قوسِ الردى يتناضلان تقضّيَ الأعمـــارِ

فاجبتُها إن قد عرفتِ مذاهـــــبي فصرفتِ معرفتي إلى الإنكار

فدعي الملامَ فقد أطعتُ غوايـــتي ونبذتُ موعظتي وراء جــدارِ

ورأيتُ إيثارَ اللذاذةِ والصـــــــبا وتمتّعي من طيب هذي الدارِ

أجرى وأحرم من تنظّر حـــــارمٍ ظنّي به رجمٌ من الأخبـــارِ

1 محمد الصالح السليمان. الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2000 ص 131.

2 ديوان أبي نواس ص 654-655

إني بعاجلِ ما ترين لمـــــؤكل وسواهُ أرجافٌ من الآثـــــار

ما جاءني أحدٌ يخبّر أنّـــــــهُ في جنّةٍ مُذ ماتَ أو في نارِ

فدعي معاتبتي على تركِ التُقى وتعتّبي فيه على الأقـــــدارِ

أما العفافُ فليس ذا بأوانـــــــهِ حتى يُلفّعُ بالمشيبِ عــذاري

لو عنّ لي قدرٌ يساعدُ صــرفهُ لرأيتِ كيف تعفّفي ووقـــاري

وهي قصيدة ماجنة،[1] مستخدمًا كلماته لخلق شعور قوي بالتوتر والتنافر.

كانت موضوعات المحاكاة والخيال، بالإضافة إلى الانسجام والتنافر، مركزية في شعر الثقافة العربية القديمة، حيث وفّرت وسيلة قوية للشعراء لاستكشاف تعقيدات التجربة الإنسانية بطريقة شخصية وعميقة في نفس الوقت، وبما "أنّ الشّعر من أرقى الفنون الّتي عرفها الإنسان، لأنّه يقوم على صدق التّجربة وعمقها، ولا يكون كذلك إلاّ إذا كان نابعا من أعماق الحياة الإنسانيّة."[2] فإنّ الشّعر العربيّ القديم لم يَخلُ من هذه النّزعة.

ومهما تحاول بعض الدّراسات طمس المساق الإنسانيّ في الشّعر العربيّ القديم، فإنّ التّحقيق بعكس ذلك، "فإذا ما نظرنا إلى القصيدة الجاهلية في أغراضها المتنوعة، نجد في بكاء الطلل رمزا لمعان إنسانية عميقة منها فظاعة الإحساس بفقد الأحبة، وقهر الزمن، وهيمنة الموت، إلى غير ذلك من المعاني التي تدق على الدارس المتسرع. وفي الرحلة لوحات طافحة

1 المرجع السّابق، ص 13

2 العربي حمدوش. النّزعة الإنسانيّة في شعر صعاليك الجاهليّة. رسالة ماجستير، قسم الآداب واللّغة العربية، جامعة قسنطينة1، 2012-2013، ص 11.

بمشاعر إنسانية فياضة يزفرها الشاعر من أعماق قلبه باحثا من خلالها عن دوحة وارفة الظلال، يستظل بظلها، ويستند إليها في خضم صراعات الحياة الخانقة."[1] فالشّعر العربيّ واحد من سجّلات الملاحم الإنسانيّة عبر التّاريخ.

يتميز الشعر العربي القديم بصورة وأسلوب يستخدمان غالبًا الاستعارات والرموز والتعبيرات الرمزية لتوصيل المشاعر والأفكار. فمثلا كانت "المرأة المثال الأكبر، والحقيقة الثابتة في حياتهم، يتناولونها في شعرهم رمزاً عاماً: للحياة والحب والمخاطر والموت، ثم نراهم عند موتها يخجلون من ذكرها، أو يستكثرون عليها بعض النشيد."[2] بهذا المعنى، كان الشعراء العرب القدامى موهوبين في تصوير التناقض بين الانسجام والتنافر في شعرهم، باستخدام الصور والرموز التي تخلق التناقضات بينهم.

كما كانت المحاكاة والخيال عنصرين أساسيين في الشعر العربي القديم. لقد أسهما كأدوات للتعبير عن المشاعر والأيديولوجيات، مع استخدام الاستعارات والصور في كثير من الأحيان لخلق أجواء وعواطف تبدو متضاربة، غير أنّها تعبّر عن حال الشّاعر العربي في حياته. "فالصّورة الشعرية في العصر الجاهلي حسية، مستمدة من البيئة لمحاولة الشّاعر استدعاء الحواس لاستيعاب الصورة التي تتفاعل معها نسب تلك الحواس، ومدى استدعاء حاسة السمع بالذات وأثرها في تشكيل الصورة."[3] فقد كان الانسجام والتنافر موضوعين رئيسيين

1 المرجع السّابق، ص 12.

2 المرأة في الشعر الأموي. ص53.

3 الصورة السّمعية في الشّعر العربي القديم، ص 7.

غالبًا ما يظهران في نفس القصيدة. يوجد هنا دائمًا صراع بين الاثنين، ولكن في بعض الأحيان يمكن أيضًا ربطهما بطريقة تخلق إحساسًا غير عادٍ.

من ناحية أخرى، كان التنافر موضوعًا آخر شائع الاستخدام في الشعر العربي القديم. غالبًا ما استخدم الشعراء الاستعارات لوصف المواقف الصعبة، مثل الحرب والمرض والموت. فهذا زهير يقول عن الحرب:[1]

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميـــــمَةً وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضـرَمِ

فَتَعرُكُمُ عَركَ الرَحى بِثِـــــفالِها وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتـــئِمِ

ويقول النّابغة الجعدي عن الموت:[2]

فِي غَمرَةِ المَوتِ نَغشاها وَنَركَبُها ثُمَتَ تَبذُو كِرامَ الصَبرِ أَبطالا

حَتّى غَلَبنا وَلَولا نَحنُ قَد عَلِمُــوا حَلَّت سَليلاً عَذارِيهِم وَجُمّــالا

وغالبًا ما يصف الخيال في الشعر العربي القديم هذه المواقف بالتفصيل ويخلق إحساسًا عميقًا بالإحباط والألم. يتبع الشعراء نوعًا من التيار غير المريح، والشعور بالفراغ والذعر يجعل

1 جميل سلطان. زهير شاعر أهل الجاهلية. دار الأنوار بيروت، ط1، 1973، ص 127- 128

2 ديوان النّابغة الجعدي. تحقيق واضح الصّمد، دار صادر بيروت، ط1، 1998، ص 126.

القصيدة تنذر بالثقل، "لأنَّ الشعر وفعل الشعر مُوجّه مباشرة للنفس: (والاستغراب والتعجُّب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية، قويَ انفعالها وتأثرها)"[1]

يتميز الشعر العربي القديم، وخاصة الشعر الجاهلي، بالعديد من التعبيرات بالمحاكاة والخيال، وغالبًا ما يستخدم لتمثيل الانسجام والتنافر في الطبيعة والعلاقات الإنسانية. تم استخدام المحاكاة والخيال في الشعر العربي القديم لخلق صور شعرية ووصف مفصل للطبيعة والإنسان. على سبيل المثال، في الشعر العربي القديم، غالبًا ما تُستخدم صورة الربيع لتمثيل تناغم الطبيعة، مع صورة الزهور تتفتح والطيور تغرد. "لأنّ الفاعلية النّفسية لكلّ صورة تتناغم مع وظيفتها المعنوية"[2]. يقول الأخطل:[3]

ما رَوضَةٌ خَضراءَ أَزهَرَ نَورُها بِالقَهرِ بَينَ شَقائِقٍ وَرِمـــالِ

بَهِجَ الرَبيعُ لَها فَجادَ نَباتُـــــها وَنَمَت بِأَسحَمَ وابِلٍ هَطّــالِ

حَتّى إِذا اِلتَفَّ النَباتُ كَأَنَّـــــهُ لَونُ الزَخارِفِ زُيِّنَت بِصِقالِ

من ناحية أخرى، غالبًا ما تُستخدم صور العاصفة لتمثيل التنافر في الطبيعة، مع صورة الأشجار التي تنحني في مهب الريح والسحب المظلمة تغطي السماء. أيضًا، تُستخدم

1 طراد الكبيسي. في الشعرية العربية. ص 79.

2 المرجع نفسه، ص 63.

3 ديوان الأخطل. شرحه وصنّف قوافيه مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994، ص 275.

صور الحرب لتمثيل التنافر في العلاقات الإنسانية، مع صورة مجموعة من المحاربين يتصادمون مع بعضهم البعض.

وغالبًا ما يستخدم الشعر العربي القديم الخيال لوصف المشاعر الإنسانية. على سبيل المثال، تُستخدم صورة القلب المكسور للتعبير عن الحزن وخيبة الأمل، بينما تُستخدم صورة القلب النابض للتعبير عن الحب والعاطفة، إذ "تمتاز اللغة العربية بالموسيقى، والإيقاع، والرنين، وتعبّر عما يجيش بصدر الإنسان، فضلاً عن الشاعر الذي يتأجج عاطفة ويضطرم مشاعر، وتحتدم في صدره أنفاس حرّى لمواقف شتى تتجاوب مع أصداء القلب عبر نبضاته، ومن هنا فإنّ الشعر تعبير عمّا يعتمل بأعماق الشّاعر من فرح وألم."[1] فالخيال واللّغة الطّيّعة والخبرة الواقعيّة أدوات تعبّر عن الأحاسيس العاطفية التي تتجاوز دواخل الإنسان؛ يشعر الشاعر بالعاطفة والحماسة، وتشتعل في صدره الأنفاس الحرة التي ترددها أصداء القلب من خلال نبضاته، ومن هنا، يكون الشّعر وسيلة للتّعبير عن مشاعر الفرح والألم العميقة التي يعيشها الشاعر.

1 صاحب خليل إبراهيم. ص 196.

الفصل الثّاني

الفصل الثّاني: الصّورة الشّعرية بين رسم الخيال ونقل الواقع.

المبحث الأوّل: الصّورة الشّعرية بين سلطان الحواس إيحاءات الخواطر.

المبحث الثّاني: الصّورة الشّعـــريّة بين شغف النّماء وحتمية الانتماء.

المبحث الأوّل: الصّورة الشّعرية بين سلطان الحواس وإيحاءات الخواطر.

الصّورة الشعرية هي شكل من أشكال التعبير الأدبي الذي يستخدم الخيال والاستعارات لنقل الأفكار والعواطف والأحاسيس. إنه مورد يعتمد على كل من الحواس والأفكار، ويسعى إلى إنتاج تجربة جمالية وعاطفية فريدة في القارئ. الحواس هي مصدر إلهام أساسي للصورة الشعرية. يستخدم الشعراء الوصف الحسي لاستحضار صور حية ومفصلة تسمح للقارئ بالانغماس في العالم الذي يتم إنشاؤه. و"هي رسم لوحات حيوية تعبر عن انفعالات الإنسان ومشاعره، سواءٌ أكانت حسية، أمّ متخيلة، تكشف براعة الشاعر، وقدرته وحسن ذوقه على التأثير في المتلقي، وإثارة تخيله في الذهن والواقع بألفاظ جميلة، ومعان جديدة."[1]وتصبح الألوان والأصوات والروائح والنّكهات عناصر أساسية في الشعر، قادرة على نقل القارئ إلى أماكن ومواقف خيالية.

من ناحية أخرى، الأفكار مهمة أيضًا للصورة الشعرية. يستخدم الشعراء المجاز والتشبيه لمقارنة العناصر التي تبدو متباينة، وبالتالي خلق أفكار ومعاني جديدة. يمكن أن تكون الصورة الشعرية انعكاسًا للعالم الحقيقي واستكشافًا لمشاعر وأفكار الشاعر. ويمكن القول" إنّ مخاطبة الحواس، والتمرد على الدلالة الحرفية، واكتشاف علاقة، وتحرك الخيال... تمثل أهم ما ينبغي أنْ يتحقق في الصورة الشعرية"[2]، فالانطباع الذي يصل من خلال حاسة معينة كالسمع مثلاً

1 الصّورة السّمعيّة، ص 19.

2 محمّد حسن عبد الله. الصورة والبناء الشعري. دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 38.

لا يلبث أن يثير إيحاءات بحواس أُخَر مثل البصر: أو اللمس"[1]. في هذا المعنى، فإن الصورة الشعرية هي أداة قوية لتوصيل الأفكار المعقدة والعميقة بطريقة شعرية وإيحائية.

الصورة الشعرية تتغذى من كلّ من الحواس والأفكار لخلق لغة شعرية تتجاوز مجرد وصف الواقع. الصورة الشعرية هي شكل من أشكال التعبير الفني الذي يسعى إلى نقل الأحاسيس والعواطف بطريقة مثيرة وموحية، ودعوة القارئ إلى المشاركة بنشاط في بناء المعنى.

تعدّ الصورة الشعرية واحدةً من الأدوات الأساسية التي يستخدمها الشعراء لنقل إيحاءات الخواطر والمشاعر إلى القارئ أو المستمع. وفيما يخص مفهوم "سلطان الحواس"، فإنّه يشير إلى القدرة على الإحساس بالأشياء والظواهر المحيطة بنا بشكل شديد، وهي قدرةٌ موجودةٌ لدى بعض الأفراد بشكلٍ أكبر من غيرهم. فليس من الغريب أن نجد "الصورة الشّعرية في العصر الجاهلي حسّية، مستمدة من البيئة لمحاولة الشاعر استدعاء الحواس لاستيعاب الصورة التي تتفاعل معها نسب تلك الحواس، ومدى استدعاء حاسة السمع بالذات وأثرها في تشكيل الصورة."[2]

ومن هنا، تأتي الصورة الشعرية لتنقل هذه الإحساسات بطريقةٍ تلامس القلوب وتدغدغ الأحاسيس. فعلى سبيل المثال، يمكن للشاعر استخدام صورة شمس غائبة خلف الغيوم ليشير

1 ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987م، ص 472.

2 الصّورة السّمعية في الشّعر العربيّ قبل الإسلام، ص 7.

إلى حالةٍ داخليةٍ ما في نفسه، مثل الحزن أو اليأس، وذلك من خلال التأمل في الأشياء المحيطة به وتشابكها بشكلٍ ما مع مشاعره وخواطره. فـ"هي رسم لوحات حيوية تعبّر عن انفعالات الإنسان ومشاعره، سواءٌ أكانت حسية، أمّ متخيلة، تكشف براعة الشاعر، وقدرته وحسن ذوقه على التأثير في المتلقي، وإثارة تخيله في الذهن والواقع بألفاظ جميلة، ومعان جديدة."[1]

بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام الصور الشعرية لتشبيه المشاعر والأفكار بأشياءٍ أخرى، مما يساعد على تحقيق التأثير المرجو من القارئ أو المستمع. فمثلاً، يمكن للشاعر أن يصوّر حزنه كطيورٍ تغادر أعشاشها وتتطاير في السماء، أو يصوّر فرحه كأمواجٍ تلامس شاطئ البحر بكل قوةٍ واندفاع، وبذلك، فإنّ الصورة الشعرية تعدّ أداةً فعّالةً لنقل الإيحاءات الدقيقة للخواطر والمشاعر، وهي تعتمد على استخدام اللغة بشكلٍ مبدعٍ ومتقن، وقدرة الشاعر على تجسيد الأشياء وتحويلها إلى مفاهيمٍ دلاليةٍ تلامس القلوب والعواطف، "ويكمن في الإيحاء متعة وقدرة وبراعة وفن، ويجري الاهتمام بما تحمله الكلمات من طاقة.. وقدرة على الإيحاء، وتتوقف هذه الإيحاءات على اختياره للكلمات"[2].

الصّورة الشّعرية تعتبر من الأساليب الأدبية التي استخدمها الشعراء العرب في العصور القديمة، وهي عبارة عن تشبيه أو تصوّر لشيء ما بواسطة اللغة الشعرية والتعبير المجازي،

---

1 الصّورة السّمعية، ص 19

(2) الفنون والإنسان، مقدمة موجزة لعلم الجمال: 68–69. نقلا عن الصّورة السّمعيّة، ص 170.

ويتم ذلك من خلال اســـتخدام الألفاظ الجميلة والتشـــبيهات الملائمة التي تعكس الخواطر والمشاعر والأفكار التي يريد الشاعر التعبير عنها. تم استخدام التجسيد كواحدة من الأساليب التي تستخدمها الشعراء في صياغة الصورة الفنية. يتم من خلالها إكساب المعاني غير العاقلة صفات الإنسان أو أفعاله. ومن خلال هذه الطريقة، يمكننا استشفاف الانعكاسات النفسية للشاعر والدلالات التي يرمز إليها من خلال الصور السمعية التي يخلقها بواسطة حسه النفسي وتجاربه الشخصية.[1] وعبر هذه الصورة، يبرز قدرة الشاعر على توصيل الغاية التي يسعى إليها.

ويمكن القول إنّ سلطان الحواس هو إحدى الصّور الشّعرية القديمة التي استخدمها الشعراء العرب للإشارة إلى قوة الإحساس والتأثير الذي يتمتع به الإنسان، وخاصةً فيما يتعلّق بالحواس الخمس، أي النظر والسمع والشّم والتذوق واللمس. وتعدّ هذه الصّورة من أشهر الصّور الشّعرية في الشعر العربي القديم، حيث استخدمها العديد من الشعراء كالمتنبي والفرزدق والمعري وغيرهم، كأنّهم كانوا يدركون علام يرتكز المعنى المبتغى من أشـــعارهم، "ويســـتند المعنى في علاقته بعملية التذوق والإدراك الجمالي إلى تربية الحواس حيث تجد الحواس في العمل الفني ما يشبع حاجاتها."[2] فنبغوا في ذلك أيّما نبوغ.

1 يُنظر: الصّورة السّمعيّة، ص 255.

2 التّجربة الإبداعيّة، ص 68.

تعكس الصّورة الشّعرية إيحاءات الخواطر والمشاعر التي تنبعث من الحواس الخمس، حيث يستخدم الشاعر تشبيهات ومقارنات ملائمة لوصف تلك الحواس ومدى تأثيرها في الإنسان، ويتم ذلك من خلال استخدام الألفاظ الجميلة والتشبيهات البديعة التي تعكس مدى عمق الإحساس والتأثير الذي تحمله الحواس، يقول المتوكّل اللّيثي:[1]

لِسانُها حُلوٌ وَمعروفُها حَيثُ يَحُلُّ الأَعصَمُ العاقِلُ[2]

فالمؤثّر الأساسي الأوّل عند الشاعر هو البيئة الطبيعية الجامدة والمتحركة التي يعيش فيها، ويتفاعل معها عبر حواسه. يستشعر الشاعر المحيط من حوله بكل تفاصيله، مثل الصحاري المترامية، والجبال، والكثبان الرملية، والأطلال، والأراضي القاحلة، والآبار،

---

1 المتوكل الليثي (? – 85 هـ / ? – 704 م) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عامر بن ليث. من شعراء الحماسة، وهو ليثي من ليث بن بكر، يكنى أبا جهمة من أهل الكوفة في عصر معاوية وابنه يزيد. ولقد اختار أبو تمام قطعتين من شعره إحداهما:

نَبني كَما كانَت أَوائِلُنا تَبني وَنَفعَلُ مِثلَ ما فَعَلوا

وقال الآمدي: هو صاحب البيت المشهور:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

شهد أيام معاوية ويزيد ومدحه، ومدح عدداً من الأمراء منهم سعيد بن العاص أمير المدينة وعبد الله بن خالد بن أسيد أمير الكوفة وغيرهم. وأغلب الظن أنه توفي سنة وفاة عبد الملك بن مروان أي سنة (85هـ) وكان بينه وبين الأخطل مساجلات دلّت على فطنة، وذكاء متوقّد، وشعر جزل رائق رائع. ولم يكن من أسرة معروفة مشهورة، لذلك حجبت أخباره وسيرته ولم يصلنا إلا القليل ومع ذلك نرى ابن سلاّم جعله في الطبقة السّابعة من الإسلاميين وهم أربعة:

1– المتوكل الليثي 2– زياد الأعجم 3– يزيد بن مفرغ الحميري 4– عدي بن الرفاع.

وهذا يظهر لنا أنّ المتوكل كان مشهوراً في عصره، خاصة في الكوفة، وكان ذا مكانة بين الشعراء، وأدلّ شيء على ذلك مساجلاته مع الأخطل.(نقلا عن الموسوعة الشّعرية الإصدار الخامس)

2 شعر المتوكّل اللّيثي. يحي الجبور، مكتبة الأندلس، بغداد، ص 232.

والمناطق المائية، والوديان، والرياح، والظروف الجوية المتنوعة، بالإضافة إلى النباتات والأشجار المتنوعة، فهو يستشعر منها الأمان ويتوخّى الخطر، " والخطر لا يأتي من الناس الذين يلتقيهم أو يواجههم المرتحل فحسب بل من الطبيعة القاسية الشحيحة، التي يسافر الجاهلي عبر مجاهلها أيضاً، ولطالما صور الشعراء اقتدارهم على اجتياز تلك المجاهل."[1] ويعكس الشّاعر هذه الخبرات المكتسبة من رحلاته الفعلية والمتخيلة من خلال رفيقه في السفر، الناقة، وملاحظاته عن الحيوانات المختلفة التي يراعيها بعناية. يستمد الشاعر الألفاظ والصور والتشبيهات من هذه الخبرات، وتصبح هذه البيئة وعاءً لكتاباته، تميز حياته البدوية والحضرية، حيث يتناولها ويستعرضها بكل تفصيلها، ولا يترك أي شيء دون وصفه. تكون الأصوات أيضًا جزءًا هامًا من شعره، حيث تساهم في تكوين الصورة السمعية المرافقة[2].

ويعدّ استخدام الصّورة الشّعرية في الشعر العربي القديم من الأساليب الأدبية الرّاقية والمتقنة، والتي تعكس مدى اتقان الشاعر للغة والتعبير، وتمكنه من توصيل الخواطر والمشاعر إلى القارئ بأسلوب مبدع وراقٍ فالصورة الشعرية هي أداة أدبيّة تستخدم الكلمات والعبارات لخلق صورة حيّة ومثيرة في ذهن القارئ. يمكن أن تكون هذه الصورة مرتبطة بالحواس، أو يمكن أن تكون صورة مجردة تعكس فكرة أو عاطفة.

1 الانتماء في الشّعر الجاهليّ، ص 219.

2 يُنظر: الصّورة السّمعيّة، ص 20.

الصورة الشعرية هي أداة قوية للشعراء، لأنها تتيح للقارئ تجربة المشاعر أو الفكرة التي يريدون نقلها بطريقة أكثر حيوية وإثارة للإعجاب. يمكن استخدام الصورة الشعرية لإثارة مشاعر مثل الفرح أو الحزن أو الحنين إلى الماضي أو اليأس، أو لنقل الأفكار المعقدة بطريقة يسهل الوصول إليها.

الصورة الشعرية هي أداة أدبية تستخدم صورًا حية ومفعمة بالحيوية لتوصيل المشاعر والأفكار بطريقة أكثر قوة ويسهل الوصول إليها. يمكن أن تكون مرتبطة بالحواس أو تكون صورة مجردة تعكس فكرة أو عاطفة، وهي في الشّعر العربيّ القديم تنطلق من التّصوير المادّي الواقعي.

المبحث الثّاني: الصّورة الشّعريّة بين شغف النّماء وحتمية الانتماء.

يشير نمو الصّور الشعرية إلى تطوّر اللغة الشعرية واستخدامها للصّور عبر التاريخ. يستخدم الشعراء الصّور لخلق تجربة حيّة وحسية لقرائهم، وغالبًا ما يعتمدون على الأساليب الأدبية مثل الاستعارة والتشبيه والتشخيص لنقل المعنى والعاطفة. "ويستفاد من آراء أكثر من واحد من العلماء: "أنّ الشّعر ما اشتمل على المثَل السّائر، والاستعارة الرّائعة، والتّشبيه الواقع" أو: "ما لم يحجبه عن القلب شيء". وما لم يتوفّر فيه شيء من هذا (فإنّما لقائله فضول الوزن) وحسب."[1]

بمرور الحقب، تطوّر استخدام الصور الشعرية واتّسع نطاقه، حيث قام الشّعراء بتجربة أشكال وتقنيات جديدة. على سبيل المثال، في العصر الرومانسي، شدّد شعراء مثل ويليام وردزورث وصمويل تايلور كوليردج على أهمية الخيال "فهو طبقا لرأي وردزورث أهم موهبة يمتلكها الشّاعر"[2] وتمّ استخدام الصور الطبيعية المفعمة بالحيوية للتعبير عن المشاعر وخلق شعور بالتّناغم مع العالم الطبيعي.

كان شعراءٌ مثل إليوت وإزرا باوند يعملون على استخدام الصور المجزأة والمتنافرة للتعبير عن الارتباك وخيبة الأمل في العالم. نحا إزرا باوند منحىً رمزياً ...ولكن زعيم الرمزيين كان ت.س إيليوت (في الرّبع الأوّل من القرن العشرين) وكان شعره ذا طابع

1 طراد الكبيسي. في الشعرية العربية، ص 46.

2 أحمد شريفي. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 2 العدد 10، أكتوبر 2021، ص 424.

تشاؤمي كئيب... متبعاً في ذلك خطّ بودلير ولكن بطريقة جديدة مبالغة في الرّمز."[1] وفي الوقت نفسه، يواصل الشعراء المعاصرون دفع حدود اللغة الشعرية والصور، باستخدام تقنيات جديدة ومراجع ثقافية لخلق مناظر شعرية جديدة ومبتكرة. بشكل عام، يعكس نمو الصور الشعرية التطور المستمر للغة وفهمنا المتغير للعالم من حولنا، حيث يستمر الشعراء في استخدام الصور لاستكشاف التجربة الإنسانية وإيصال وجهات نظرهم الفريدة عن الحياة والحب والعالم.

إذاً، الصّورة الشّعرية هي تقنية أدبية تستخدم الكلمات والعبارات لخلق صورة حية وحسية في عقل القارئ. يمكن أن تكون الصورة الشعرية استعارة أو مقارنة أو وصفًا تفصيليًا أو أي تقنية أخرى تسمح للقارئ بتصور المشهد أو الشيء الموصوف في القصيدة. "فالصورة تتكون في مخيلة الشاعر مع تبلور النص الشعري ذاته، وليست شكلا منفصلا عنه، وعليه فإن جمالية الشعر وقوة دلالته تتمثّل في الإيحاء عن طريق الصور الشعريّة لا في التصريح بالأفكار المجرّدة ولا المبالغة في وصفها، تلك التي تجعل المشاعر، والأحاسيس أقرب إلى التعميم، والتجريد منها إلى التصوير والتخصيص، ومن ثمَّ كانت للصّورة أهمية خاصة."[2]

1 المذاهب الأدبيّة لدى الغرب، ص 96.

2أحمد شريفي. ص 411.

يشير النمو في الصورة الشعرية إلى الاستخدام المتكرر والمتطور لهذه التقنية في الشعر بمرور الوقت. مع تطور الشعر عبر القرون، اكتشف الشعراء بشكل متزايد قدرة الكلمات على إنشاء صور قوية ومثيرة للذكريات في ذهن القارئ.

جاء النمو في الصورة الشعرية في الشّعر العربيّ القديم مع استكشاف الشّعراء بشكل متزايد لقدرة الكلمات على إنشاء صور حية ومثيرة للذكريات في ذهن القارئ. تطورت هذه التقنية على مر القرون ولا تزال أداة قوية للشعراء. يقول أحد الباحثين: "إنّ النمو العضوي داخل القصيدة قد لا يتمّ إلاّ بترابط بعض الحواس ببعضها، إذ إن تساوقها يتولد من داخل العلائق التي يتطلبها النص، إذ يقضي بيت شعري، يتطلب المعنى فيه، أو –عبر حاسة معينة– أن تنبثق حاسة ثانية وثالثة ورابعة، ليتم المعنى وتكمل الصور الحسية، وقد لا تتشكل الصورة النهائية إلاّ بتضافر عدد من الحواس."[1]

ويمكن فهم نمو الصورة الشعرية على أنه تطور وإثراء الصور والاستعارات المستخدمة في الشعر. بمرور الوقت، اكتشف الشعراء طرقًا جديدة لتمثيل العالم من حولهم والتعبير عن مشاعرهم وعواطفهم، فـ"الاستعارة أفضل المجاز، وأوّل أبواب البديع، وليس في حِلَى الشّعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها"[2] فقد تطوّرت الصور الشعرية وازدادت غنى وتعقيدًا عبر الزمن. ابتكر الشعراء أساليب جديدة لتصوير العالم المحيط

1 الصّورة السّمعية، ص 129.

2 القيرواني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشّعر وآدابه. ج 2، ص 268.

بهم وتعبير مشاعرهم وأحاسيسهم، وقد كانت الاستعارة من أهم وسائل التعبير الشعري، حيث تفتح الأبواب الأولى للجمال وتعززه، ولا يوجد في زخارف الشّعر شيء أروع من الاستعارة، إنّها من مزايا اللغة الرائعة عندما تُستخدم في السياق المناسب وتوضع في مكانها الملائم.

في حديثها عن تطور وتنوع الصورة في شعر الحكمة في الأندلس، أشارت أميمة محمّد إلى أن تكون صورة حسية تعتمد على الحواس المختلفة. يستخدم الشاعر الحواس للتصوير الفني سواء كانت الصورة ملموسة أو عاطفية، فتتفرع الصورة الحسية إلى متنوّعة، فتقول: "وقد تنوّعت الصّورة فكان منها الصّورة الحسيّة الّتي تعتمد على حاسّة من الحواس أو أكثر؛ فعن طريق الحواس يتم إدراك الصورة التي يرسمها الشاعر سواء أكانت هذه الصورة من الأمور المحسوسة أم الوجدانية. وتفرعت الصّورة الحسية إلى: صورة بصرية وصورة سمعية وصورة لمسية وصورة تذوقية وصورة شمّية، وقد اتضحت هذه الصورة من خلال عرض لشواهد من شعر الحكمة عند شعراء الأندلس."[1]

شهد الشعر العربي القديم العديد من التطورات، واستخدمت الصور الشعرية أكثر فأكثر لتمثيل المشاعر والعواطف المعقدة. بدأ الشعراء أيضًا في استكشاف أنواع جديدة من الصور، باستخدام رموز واستعارات أغزر دقة وأكثر تعقيدًا. وبالتالي، يمكن النظر إلى نمو الصورة الشعرية على أنه تطور للشعر نفسه، والذي تميز بالاستخدام المتزايد للخيال والإبداع والتعقيد في التعبير عن الأفكار والعواطف. "ومما لا يدع مجالاً للشك أن القصيدة العربية الجاهلية

1 أميمة محمّد عبد العزيز ركابي. مجلة كلّية التّربية، عين شمس، العدد 25، الجزء 3، 2019، ص 137.

مرّت بمراحل من النمو والتطور حتى وصلت إلى الشكل الذي وصلت به إلينا، وقد ينطبق عليها ما ينطبق على الطفل منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه إلى أن يبلغ مرحلة الولادة."[1] فيخرج إلى الحياة مجهّزة بأدوات المواجهة.

يشير نمو الصّورة الشعرية وتطوّرها إلى قدرة الصّورة أو الكلمة أو العبارة على إثارة الأحاسيس أو العواطف أو الأفكار مجازيًا وليس حرفيًا. غالبًا ما يستخدم الشعراء الصور الشعرية لخلق الحالة المزاجية أو لنقل المشاعر المعقدة باستخدام التشبيهات أو الاستعارات أو الرموز، و"اعلم أنّ الشّعر النّادر هو الّذي يستفز القلب، ويحمي المزاج في استحسانه، والبارد بضد ذلك."[2] ويمكن أن تتخذ الصور الشعرية عدة أشكال، مثل وصف المناظر الطبيعية، وصور الأشخاص أو الحيوانات، واستحضار الذكريات أو الأحلام، وحتى الصور المجردة التي لا تمثل أي شيء ملموس. يمكن استخدامها أيضًا لتمثيل المفاهيم أو الأفكار المجردة، مثل الحرية أو الحب أو الموت.

عموما، تتميز الصور الشعرية في الشّعر العربيّ القديم بقوتها الاستدلالية وقوتها التعبيرية وقدرتها على إثارة المشاعر والأحاسيس لدى القارئ. غالبًا ما تعتبر واحدة من أهم خصائص الشعر وتستخدم لخلق تجربة جمالية فريدة تتجاوز المعنى الحرفي للكلمات. ويشير الانتماء

1 جدلية القيم في الشّعر الجاهلي، ص16.

2 أسامة بن منقذ. البديع في البديع في نقد الشّعر. تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1960، ص 160.

في هذه الصورة الشعرية إلى كيفية ارتباط صورة في قصيدة بصورة أو فكرة أخرى في نفس القصيدة أو في قصيدة أخرى للمؤلف نفسه، مما يؤدي إلى إنشاء اتصال أو علاقة بينهما. ويمكن أن تكون هذه العلاقة صريحة أو ضمنية، ويمكن للشاعر استخدامها لإنشاء شبكة من المعاني والارتباطات التي تعمق فهم القارئ وتجربته. من خلال ربط الصور أو الأفكار، يمكن للشاعر أن يخلق كونًا متماسكًا تلعب فيه الصور دورًا مهمًا ورمزيًا.

وقد أدرك جرير أن العلاقة بينه وبين الفرزدق ليست علاقة خصومة فقط، بل رأى فيها مصدرًا للإلهام الشعري. يعتبر جرير الفرزدق محركًا لشعره ووسيلة لتفجير العواطف الشعورية في داخله، وفيه قال: "نبعةُ الشّعر الفرزدق" وهذا يُبيّن مدى ارتباطهما بعضهما ببعض. وعندما بلغه موت الفرزدق أيقن أنه أصبح هو الآخر في عداد الأموات–شعرياً على الأقل– وتمنى بكل أسف وحسرة لو عاش الفرزدق قليلاً:[1]

مات الفرزدق بعدما جدَّعتُهُ ليت الفرزدق كانَ عاشَ قليلا

البيت يحمل معانٍ متعددة ومتضادة في الظّاهر والباطن. يبدو أنه يحمل انتقادًا أو تهكمًا ولكنه في الواقع يشير إلى ردة فعل جرير الشديدة وذهوله بسبب وفاة الفرزدق. يعتبر جرير أنّ هذا الحدث هو نهاية حياته الشعرية وأنه قد واجه الواقع المرير. في النهاية، قدّم تحية الوداع لزميله الذي بقي يصارعه مدة أربعين سنة وذلك من خلال قصيدة يقول فيها:[2]

1 الظّاهرة الشّعرية العربية، ص 228.

2 المرجع السّابق، ص 228.

فَلا حَمَلَت بَعدَ الفَرَزدَقِ حُرَّةٌ وَلا ذاتُ حَملٍ مِن نَفاسٍ تَعَلَّتِ

هُوَ الوافِدُ المَجبورُ وَالحامِلُ الَّذي إِذا النَعلُ يَوماً بِالعَشيرَةِ زَلَّتِ[1]

نلاحظ أنّ نمو الصّورة الشّعرية وتطوّرها جعل منها أداة قوية يستخدمها الشّعراء لخلق المعنى وإثارة المشاعر لدى القارئ. والانتماء في الصّورة الشّعرية هو العلاقة بين العناصر المختلفة للصّورة، مثل الأشياء والألوان والعواطف التي يستخدمها الشّاعر لنقل رسالة معيّنة. والانتماء في الصّورة الشعرية يشير إلى العلاقة بين الكلمات المستخدمة في الخطاب الشّعري والمجتمع أو الثّقافة التي ينتمي إليها الشّاعر. فعندما يستخدم الشاعر صوراً ومفردات ترتبط بثقافته أو مجتمعه، فإنه يعبر عن هويته وانتمائه الثقافي. وبالتالي، يمكن استخدام الصورة الشعرية كوسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية والانتماء إلى مجتمع معين.

كان للثّقافة في عصر كلّ شاعر أثرها البيّن في شعره، فقد "ظهرت التأثيرات الإسلامية في دواوين الشّعراء في العصر الأموي. فكانت الاستجابة عامّة لدى جميع الشّعراء وفي اتجاهاتهم ومذاهبهم الفنية المختلفة، وصدروا في معانيهم عن تأثّر بالبيئة والثّقافة والدّين."[2] وفي حديثها عن استمداد الشّاعر لصوره من بيئته، تشير فاطمة تجور[3] أنّ أثر ثقافة الشّاعر

1 ديوان جرير. دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، 1986، ص 72.

2 المرأة في الشّعر الأمويّ. ص 445

3 يُنظر: نفس المرجع، ص 477

وبيئته تتجلّى بوضوح في شعر العرجي[1] من خلال تقديم قصّته بأسلوب يعكس براعة فائقة في وصف المكان والزمان والأصدقاء. يتميز العرجي بتمثيل المشاهد بدقة وواقعية أكثر من التركيز على الحوار بين الشخصيات. يظهر اهتمام العرجي البالغ بتصوير سير الأحداث وجعلها محور التركيز بدلاً من التركيز الحصري على الحوار. يقول العرجي:[2]

وَضَمَّنتُ حاجاتي إِلَيها رَفِيقَةً بِها طَبَّةً مَيمُونَةً حِينَ تُرسَلُ

مِنَ البَربَرِيّاتِ اللَواتي وُجُوهُها بِكُلِّ فَعالٍ صالِحٍ تَتَـــــهلَّلُ

وَزيرٌ لَها إِبلِيسُ في كُلِّ حاجَةٍ لَها عِندَما تَهوي لَهُ يَتَمَثَّلُ

رَآها نِعمَ الخَدينُ فَلَم يَـــــزَل لِحاجاتِها ما لَم تَحُل يَتَحَمَّلُ

فَقالَت فَلا تَعجَل كَفَيتُكَ مَرَحباً وَلِلسِّرِّ عِندي فَاعلَمَن ذاكَ مَحمِلُ

تَغُشَّت ثِيابَ اللَيلِ ثُمَّ تَأَطَّرَت كَـــــما اِهتَزَّ عِرقٌ مِن قَناً مُتَذَلِّلُ

فَجاءَت بَواراً طالَما قَد تَعَلَّلَت مِنَ الوَحشِ ما يَسطِيعُها المُتَحيِّلُ

بَدَتها بِقَـــــولٍ لَيِّنٍ وَتَمَثَّلَت مِنَ الشِعرِ مـــا يَرقي بِهِ المُتَمَثِّلُ

فَجاءَت بِها تَمشي عِشاءً وَسامَحَت كَـــــما اِنقادَ بِالحَبلِ الجَوادُ المُجَلَّلُ

---

1 العَرْجي (? – 120 هـ / ? – 737 م) عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر. شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، كان مشغوفاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن، وهو من أهل مكة، ولقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) في الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات. (الموسوعة الشعرية الإصدار الخامس)

2 ديوان العرجي. تحقيق خضر الطّائي ورشيد العبيدي. الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، ط1، 1956، ص ص 152–154.

تُحَذِّرُها في مَشيـــــها الأَعيُنَ الَّتي بِها إِن رَأَتها عِندَ ذي الضَغنِ تَجمُلُ

فَتُسرِعُ أَحياناً إِذا هِيَ لَـــــم تَخَف وَتَخشى عُيُـــــــوناً حَولَها فَتَمَيَّلُ

تصوّر هذه القصّة ببراعة المرأة التي تستعيد الوئام بين الأطراف المتنازعة، وتهتم بتفاصيل الحدث بمهارة فائقة. يتم وصف ذكائها وقدرتها على التأثير بطريقة تجعلها تبدو كالساحرة، وفي هذا التصوير، تتجلى طرافة ومرح السّيدة في أذهاننا كصديقة للشيطان في مكره ودهائه. عبارته "تغشت ثياب الليل" تعكس صورة رائعة تنطوي على غموض شديد. وعلاوة على ذلك، فإن تضحية الشعر لتعزيز تأثير المرأة تعكس ثقافتها وقدرتها الخارقة على التأثير على مشاعر صاحبتها، حيث تحقق ما ترغب فيه. ولا يمكننا إغفال تأثير الصورة الشاعرية الجميلة على تلك الصورة.[1]

يمكن للشّاعر المصري أن يستخدم صوراً ومفردات ترتبط بالحضارة المصرية القديمة، مثل الأهرامات والأساطير الفرعونية، للتعبير عن انتمائه الثقافي والحضاري إلى مصر، ولنمثّل لذلك بقول ظافر الحدّاد:

تَأَمَّـــــــلْ هيئةَ الهَرَمَيْن وانظُرْ وبينهما أبو الهـــولِ العجيبُ

كعُمّـــــــــــارَيَتَيْن على رحيلٍ بمحبـــــــوبين بينهما رقيب

1 يُنظر المرجع السّابق، ص 478.

وماءُ النيلِ تحتَهما دمـــــــــوعٌ وصوتُ الريحِ عندهما نَحيب[1]

وظاهِرُ سجنِ يوسفَ مثلُ صَبٍّ تَخلَّف فَهو محـــــزونٌ كئيب

وبالمثل، يمكن للشاعر الأندلسي أن يستخدم صوراً ومفردات ترتبط بثقافة الأندلس، للتعبير عن انتمائه الثقافي حيث الطّبيعة توحي صورا جذّابة وتلهم الشّاعر أوصافا واستعارات لا يمكن لغيره إنشاؤها، نجد ابن زيدون وهو يصف الزّهراء[2] الّتي ذكّرته بمحبوبته، يقول:[3]

إنّي ذَكَرتُكِ بِالزَّهـــــــــراءَ مُشتاقاً وَالأُفقُ طَلقٌ وَمَرأى الأَرضِ قَد راقا

وَلِلنَسيمِ اِعتِلالٌ في أَصـــــــــائِلِهِ كَأَنَّهُ رَقَّ لي فَاعتَـــــــــلَّ إِشفاقا

وَالرَوضُ عَن مائِهِ الفِضِيِّ مُبتَسِمٌ كَما شَقَقتَ عَنِ اللَبّـــــــاتِ أَطواقا

يَومٌ كَأَيّامِ لَذّاتٍ لَنا انصَـــــــرَمَت بِتنا لَها حينَ نامَ الدَهـــــــرُ سُرّاقا

نَلهو بِما يَستَميلُ العَيـنَ مِن زَهَرٍ جالَ النَدى فيهِ حَتّى مـــــالَ أَعناقا

كَأَنَّ أَعيُنَهُ إِذ عايَنَـــــــت أَرَقي بَكَت لِما بي فَجالَ الدَمـــــعُ رَقراقا

---

1 نجوى معتصم أحمد. جماليات المكان في شعر ظافر الحدّاد. مجلة الدّراسات العربية، كلّية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد 38 العدد7، يوليو (جويلية) 2018، ص 3331.

2 " الزهراء مدينة في غربي قرطبة بناها النّاصر عبد الرحمن بن محمد...وكانت قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها، وكان فيها قوم سكان بأهاليهم وذراريهم، وكانت في ذاتها عظيمة، وهي مدينة فوق مدينة، سطح الثلث الأعلى على الحد الأوسط، وسطح الثلث الأوسط على الثلث الأسفل، وكل ثلث منها له سور، فكان الحد الأعلى منها قصوراً يعجز الواصفون عن وصفها، والحد الأوسط بساتين وروضات، والحد الأسفل فيه الديار والجامع." الرّوض المعطار في خبر الأقطار. لمحمد عبد المنعم الحِمْيَري، تحقيق إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص 295.

3 ديوان ابن زيدون ورسائله. تحقيق علي عبد العظيم، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص 139.

وَردٌ تَأَلَّقَ في ضـــــاحي مَنابِتِهِ فَازدادَ مِنهُ الضُحى في العَينِ إِشراقا

كُلٌّ يَهيجُ لَنا ذِكـــــرى تَشَوُّقِنا إِلَيكِ لَم يَعدُ عَنها الصَدرُ أَن ضاقا

بشكل عام، تعتمد الصورة الشعرية على استخدام اللّغة بشكل مبدع وغير تقليدي، وتهدف إلى تعزيز الانتماء الثّقافي والوطني للشّاعر وتحاول بثّ تأثيرها في القارئ.

الفصل الثّالث

الفصل الثّالث: الشّعر العربيّ القديم بين القيم الإنسانية والنّزعات المادّيّة:

المبحث الأوّل: جدلية القيـــم الإنسانيّة في الشّعر العربيّ القديم.

المبحث الثّاني: إشكالية النّزعات المادّيّة في الشّعر العربيّ القديم.

المبحث الأوّل: جدلية القيم الإنسانيّة في الشّعر العربيّ القديم.

يعد الشعر العربي القديم مصدرًا غنيًا للتعرف على قيم ومعتقدات الشعوب العربية التي ألفها. هذه القيم متجذرة في السياق الاجتماعي والثقافي والديني في ذلك الوقت، ولا بدّ من الإشارة إلى " أنّ جدلية القيم، تعني فيما تعنيه، الاعتقاد بنسبيتها لدى هذا الإنسان الذي عاش صراعاً وجودياً منذ اللحظة الأولى التي أبصر فيها نور الحياة، فقد صادفته مخاطر وأهوال، وواجهته طلاسم ظلّت ترهبه وتجعله دائم الحيرة والخوف والتأهب استعداداً لأي طارئ."[1] وهي تعكس النظرة العالمية للشعراء ومجتمعاتهم. تتضمن بعض القيم الإنسانية الأساسية التي تم التعبير عنها في الشعر العربي القديم ما يلي:

الشّجاعة: من أبرز الموضوعات في الشعر العربي الشجاعة، والتي غالبًا ما يتم الإشادة بها باعتبارها صفة نبيلة ومثيرة للإعجاب. وأشاد الشعراء بالشّجاعة في المعركة، وكذلك الشّجاعة للدفاع عن معتقدات المرء ومبادئه في مواجهة الشدائد. فقد افتخر الشّاعر الجاهلي بأخلاق وقيم كانت ثمرة حاجاته وصوّر معيشته،[2] فقد أشاد "بكرم العنصر وقوة العصبية ومنعة الجانب والشجاعة والكرم والإباء والوفاء والمروءة، وما إلى ذلك... ثم فخروا بالتّعقّل"[3]. وتعتبر الشّجاعة من أهم القيم الإنسانية في الشّعر العربي القديم.

---

1 بوجمعة بو بعيو. جدلية القيم في الشّعر الجاهلي. رؤية نقدية معاصرة. اتحاد الكتاب العرب، 2001 –ص 09.

2 نفس المرجع، ص 30.

3 مجموعة من الباحثين، الفخر والحماسة، سلسلة فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، دار المعارف، ص 09.

الشّرف: الشّرف هو قيمة أخرى مهمة في الثقافة العربية، وكثيراً ما كان الشعراء يمجدون فضائل الشرف والتمسك بسمعة المرء. غالبًا ما تصف القصائد الأفراد الذين يتصرفون بكرامة ونزاهة، حتى في الظروف الصعبة. جاء في أساس البلاغة: "ومن المجاز فلان يَنْميه حَسبُه، وقد نَمَاه جَدٌّ كريم، وقال النابغة:

إِلى صَعبِ المَقادَةِ ذي شَرِيسٍ نَماهُ في فُروعِ المَجدِ نامِ

يمدح المنذر بن المنذر بن ماء السماء[1]، فجدّ المنذر هو النامي أي الرافع منزلة المنمِيّ، وذلك لأن المجد يكون في الآباء المتقدمين في الشرف. ومثل ذلك قول عمرو بن الأهتم السعديّ يفخر بجدّية: فَذَكِيّ، وهو من قبل أبيه، والأشدّ، وهو من قبل أمّه[2]:

نَمَتني عُروقٌ مِن زُرارَة لِلعُلى وَمِن فَذَكيٍّ وَالأَشَدِّ عُروقُ

1 –الزمخشري، 1992م، أساس البلاغة، دار النفائس، بيروت، (نمي). انظر النابغة الذبياني 1968م، ديوان النابغة الذبياني بتمامه، صنعه ابن السكيت، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، ص165.

2 –المفضّل الضّبّيّ، 1987م، شرح اختيارات المفضل، صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 610/2. وانظر أوس بن حجر 1979م، ديوان أوس ابن حجر، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ص26، وزهير بن أبي سلمي، 1970م، شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمريّ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ص243،271، وطرفة بن العبد البكري، 1975م، ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشمنتريّ، تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص89.

مَكارِمُ يَجعَلنَ الفَتى في أُرومَةٍ يَفاعٍ وَبَعضُ الوالِدين دَقيقُ

إنّ النّمْي إلى المجد، والمجد يشمل النسب والحسب، ونَمْيَهُ هما زيادة في المنزلة ورفعة الشأن، ولكن هذه الدلالة المعنوية تلازمها دلالة مادية تُلحظ في كثرة الأفعال المجيدة، وفي اتساع دائرة العارفين بالمنمِيّ وبالنامي. ويشاكل هذا المعنى قولنا: "نَمَيْتُ الحديث إلى فلان: رفعته وأسندته... ويقال نَمَيْتُ الحديث: بَلَغْتُه على جهة الإصلاح."[1] فَنمْيُ الحديث هو زيادة في عدد العارفين به وبصاحبه. والشّاعر العربيّ القديم يحتفي بالنّهوض للأمر الشّريف. قال طرفة بن العبد يذكر قومه[2]:

نُبَلاءِ السَعيِ مِن جُرثومَةٍ تَترُكُ الدُنيا وَتَنمي لِلبَعَد

وقد قال الأعلم الشنتمري في شرح (تَنْمِي للبَعَد): "أي: تنهض للأمر الشريف البعيد المرام. وذلك لشرفهم وعُلُوّ هِمَمِهم".[3]

الضيافة: الضيافة متأصلة بعمق في الثقافة العربية، وتعتبر قيمة أساسية. غالبًا ما تصف القصائدُ كرم المضيفين ولطفهم، الذين يرحبون بالضيوف ويوفرون لهم الطّعام والمأوى والرفقة. وقد كانت الضّيافة مثل الجوار قيمة إنسانيّة بالغة الأهمية، وفيها يقول فاروق أحمد

1-أساس البلاغة:(نمي).

2-ديوان طرفة ص135. وتترك الدنيا: تترك الخصلة الدنية القريبة المرام. والبَعَد: البعيد.

3 الإنتماء في الشّعر الجاهلي ص 19.

سليم: "وأمّا الظّاهرة الأكثر شبها بالجوار فهي الضيافة، ولطالما ربط الشعراء بين الضيافة والجوار[1]، بل إنّ متمم بن نويرة كان يرى أن الضيافة هي الجوار ذاته، وذلك في قوله. يرثي أخاه[2]:

وكانَ إذا ما الضيفُ حلَّ بمالك تَضمّنهُ جارٌ أشَمُ منيعُ

وما ذلك إلاّ لشدّة تقارب الأسباب الموجبة للضّيافة والموجبة للجوار، ولتشابه المصالح المحقّقة في ظلِّ كلٍّ منهما."[3]

الوفاء "وقد أوجدت الأحلاف علاقات إنسانية متينة ومتطورة بين المتحالفين، وأظهر الشّعراء ذلك في تأكيدهم أهمية الوفاء بالعهود؛ فامتدحوا الوفاء، وافتخروا به، وذمّوا الغدر بالحليف، والتّخلّي عنه، وأبرزوا الاستياء من تقصير الحليف في القتال إلى جانب حلفائه، وغضب الحليف لحفائه، وافتخروا بالدّفاع عن الحليف كقول عبد الله بن ثور العامري في

1 يُنظر بعض ذلك في ديوان بشر ص90، 288– 289، 295، وديوان حسان ص183، وديوان الحطيئة ص40، وديوان دريد ص82، وديوان سلامة ص226– 227، وديوان أبي محجن ص50، وشرح ديون الأعشى ص209، وشرح ديوان لبيد ص136– – 137، وشعر النمر ص62، والأغاني 282/17 والأمالي 62/1، وشرح اختيارات المفضل 1646/3، وشرح أشعار الهذليين 123/1 وقصائد جاهلية نادرة ص132.

2 شرح اختيارات المفضل 1198/3. والضيافة تنعقد برضا الضيف والمضيف معاً، وذلك بطلب من الضيف يلقى قبولاً من المستضيف أو بعكس ذلك. انظر ما يدل على ذلك في ديوان حسان ص133، وديوان الخنساء ص74– 75، وديوان شعر حاتم ص251، 259، 285، وديوان شعر المثقب العبدي ص117– 123، وشرح اختيارات المفضل 598/2– 610، والعقد الفريد 289/1، ومعجم الشعراء ص21.

3 الإنتماء في الشّعر الجاهلي. ص 365.

تحالف قومه مع بني ليث الكنانيين:

فَكُنّا كمن آسى أَخاهُ بِنَفسِهِ نَعيشُ مَعاً أَو يَتلفونَ وَنتلفُ"[1]

الحبّ: الحبّ هو موضوع شائع في الشعر العربي، وغالبًا ما يتم تصويره على أنه عاطفة نبيلة. احتفى الشعراء بجمال ورشاقة أحبائهم، وكثيراً ما وصفوا قوة الحب في إلهام الشجاعة والإبداع والتضحية بالنفس. "وقد لاحظنا أن بنية كل معلقة تقوم على ثلاثة عناصر لا تكاد تعدوها، ولا تكاد تمرق عن نظامها: إذ كلٌّ منهنّ تبتدئ بذكر الطلل أو وصفه، ثم ذكر الحبيبة ووصفها، ثم الانتقال، من بعد ذلك، إلى الموضوع."[2]

العدل: العدل قيمة أساسية في الثقافة العربية، وغالبًا ما يتم الإشادة بها في الشعر. احتفى الشعراء بفضائل العدل والإنصاف، وكثيراً ما انتقدوا من يتصرف بظلم أو يستغل الضعيف. "لقد أسهمت الانتماءات الدينية الجاهلية في تطوير حياة الجاهليين، وقد دّلّ على ذلك سيادة التسامح الديني بينهم، وشيوع الإيمان بالله الواحد، رب الكون والناس كلهم، وكذلك إحلال السلام في شهور معلومة، وأماكن محددة، وفي تَسَرّب مفاهيم دينية عن السلام والعدل والحقّ إلى نفوس الجاهليين."[3]

الحكمة: تحظى الحكمة بتقدير كبير في الثقافة العربية، وغالبًا ما يتم الاحتفال بها

1 الانتماء في الشّعر الجاهلي. ص 350

2 السّبع المعلّقات. ص 60.

3 الانتماء في الشّعر الجاهلي. ص 427.

في الشعر. وقد أثنى الشعراء على أصحاب المعرفة والبصيرة، كما أشادوا بفضائل التعلم والتّأمل. ولعلّ أعظم المظاهر العقلية عند عرب الجاهلية تنحصـــر في الحكمة والحِلم وفي الخطرات النفسية والعلمية. فالحكمة جزء من الفلسفة، الّتي تكون في الشّعر إذا احتوى على نظام شامل ذي مقدمات ونتائج منطقية، لا يشترط لها أن تخوض في تعليل[1] مظاهر الوجود فقط بل تســعى إلى إدراك الواقع الاجتماعي للعرب والسّــعي بهذا الواقع نحو الأفضــل بفهم الأسباب والنّتائج التي تحقّق لهم السّلامة والحكمة في تصرّفاتهم اليوميّة.[2]

وبشكل عام، يفتح الشّعر العربي القديم نافذة على قيم ومعتقدات ثقافةٍ نابضة بالحياة ومعقّدة. تستمر هذه القيم في التأثير على المجتمع العربي اليوم، وهي تمثّل إرثًا ثريًّا يقدّره ملايين الأشخاص حول العالم.

إنّ الشّعر العربي القديم هو مصدر ثمين لفهم القيم الإنسانية في الثّقافة العربية في ذلك الوقت، والتي تتميّز بمُثُل الشّجاعة والشّرف والكرم والحكمة والعدالة، وكذلك انتقادات الرذائل مثل الجبن والخيانة والجشع والظّلم والاستبداد.

1 عمر فروخ. عبقرية العرب في العلم والفلسفة. الطبعة الأولى، دار اليقظة دمشق، ص 09.

2 الإيجابية والسّلبية في الشّعر العربي بين الجاهليّة والإسلام، ص 118.

المبحث الثّاني: إشكالية النّزعات المادّيّة في الشّعر العربيّ القديم.

يرى بعض الباحثين أنّ المادية هي اعتقاد فلسفي بأنّ العالم المادي هو الواقع الوحيد، وأنّ كل شيء، بما في ذلك الفكر والوعي البشري، يمكن تفسيره في النّهاية من حيث المادّة والقوانين الفيزيائية. في حين أنّ الشّعر العربي القديم معروف بموضوعاته الغنية والمتنوعة، بما في ذلك الحب والطبيعة والرّوحانية، فإنّ المادية ليست موضوعًا بارزًا في الشّعر العربي الكلاسيكي.

كانت النّظرة السّائدة في الشّعر العربي القديم عبارة عن مجتمع قبلي ما قبل الإسلام أكّد على أهميّة الشّرف والشّجاعة والمكانة الاجتماعية، وغالبًا ما كان الشّعر يستخدم للتّعبير عن قيم ومُثُل المجتمع القبلي، وكان يُنظر إلى المادّية عمومًا على أنها علامة على الضّعف والانحلال الأخلاقي.

ومع ذلك، فقد تطرق بعض الشّعراء إلى موضوعات مادية في أعمالهم. على سبيل المثال، اشتهر امرؤ القيس، بحبّه للرّفاهية والممتلكات المادية، وهو ما كان يعبّر عنه غالبًا في شعره. " فامرؤ القيس يبتدئ معلقته بوصف الطّلل، أو البكاء على الرّبوع الدّارسة، ثم يتدرّج إلى الغزل الجسديّ بالنّساء فيتوقّف خصوصاً لدى حادثة دارة جلجل، لينتهي إلى الفَرَس واللّيل، والمطر ووصف القفر، أو طبيعة البلاد العربية اليمنية خصوصاً.[1] وحين يشتاق إلى حبيبته ويبكيها، فهو يبكي الجسد لا الرّوح، "وإذن فامرؤ القيس لا يبكي هذه المرأة لأنّه كان يريد أن

1 السّبع المعلّقات. ص 61.

يسكن إليها، ويزاوجها ليأنس بها، ويعاشرها ليُنْجِبَ معها، أو منها، بالمودة والرّحمة، وإنّما كان يبكيها لأنّه فقد فيها الملذّات الجسديّة قبل كلّ شيء. وبين الأمرين بونٌ بعيد."[1]

شاعر آخر ، أبو نواس ، عاش في القرن الثامن ، اشتهر بأسلوب حياته المتحرّر وتعاطيه المتكرر للكحول والمخدرات. احتفى شعره في كثير من الأحيان بمتعة الجسد والتسامح المادي ، على الرغم من احتوائه أيضًا على انتقادات للمجتمع والمؤسسات الدينية.

غالبًا ما ركز الشعر العربي القديم، وخاصة الشعر الجاهلي، على موضوعات عادية، مثل الحرب والصيد والحبّ والطّبيعة. ومع ذلك، يجادل بعض النّقاد بأنّ هذا الشّعر يجب أن يُخصَّص حصريًا للموضوعات الدينية أو الفلسفية وأن وجود الدّوافع الدنيوية هو انحراف عن الطّبيعة الحقيقية للشعر، ولكن يجادل نقاد آخرون بأنّ الشّعر العربي الكلاسيكي يجب أن يُنظر إليه في سياقه التّاريخي والثّقافي، وأنّ تضمين الزخارف الدّنيوية والدّنيئة يعكس الحياة اليومية والاهتمامات في الوقت الذي قيل فيه.

على أيّ حال، كان الشّعر العربي القديم ذا قيمة عالية لجماله وجودته الأدبية، بغض النّظر عن الموضوعات التي يتناولها. "فماذا كان يكون الشّعر الجاهليّ لو خلا من ذكر المطر، ووصف السّيول، وملاحظة الأنواء، والتّغنّي بالخصب، والتّلهّي بالحيا؟ وهل كان يمكن لامرئ القيس أن يضطرب في تلك المضطربات من الجَدْب والخِصْب، ومن الرّعد والبرق،

1 المرجع السّابق، ص 69.

والهَطْل والهَتْن؛ ثمّ لا يحتفل بكلّ ذلك في شعره فيخلدّه عبر الأزمنة المتطاولة؟"[1] علاوة على ذلك، سمح إدراج الزخارف الدنيوية للشّعراء باستكشاف مجموعة واسعة من المشاعر الإنسانية وساعد في جعل الشّعر في متناول جمهور أوسع.

تناول الشّعر العربي القديم مجموعة واسعة من الموضوعات، ومن بينها النزعات المادية. ففي بعض الأحيان، كان الشّعراء يعبرون عن رغبتهم في الحصول على الثراء والرّفاهية والاستمتاع بالحياة الدنيوية. " فالأعشى – مثلا – يرحل لاستجداء الأموال بمدائحه، ورغبةً في الاستمتاع بمباهج الحياة، ويدلّ على ذلك قوله حين آب من تطوافه إلى موطنه في اليمامة بين مهراس ومارد[2]:

أَجِدَّكَ وَدَّعتَ الصِبى وَالوَلائِدا وَأَصبَحتَ بَعدَ الجَورِ فيهِنَّ قاصِدا

وَما خِلتُ أَن أَبتاعَ جَهلاً بِحِكمَةٍ وَما خِلتُ مِهراساً بِلادي وَمارِدا"[3]

ومع ذلك، فإنّ هذه النّزعات المادية لم تكن موجودة في جميع أنواع الشعر العربي القديم، ولم تكن أساسية في العديد من الأشعار. فقد كانت بعض الأشعار تعبّر عن الرغبة في العزة والشرف والإنسانية، بدلاً من الثروة والمادية، بل "إنّ الظّاهرة العذرية لما تحمله من نظرة روحية

1 السّبع المعلّقات. ص 121.

2 شرح ديوان الأعشى ص 97. والولائد: الجواري. والجور: الميل عن القصد، الاستقامة.

3 الإنتماء في الشّعر الجاهليّ. ص 215.

وبُعْد إنساني ونزعة عاطفية، جعلت بعض الدّراسات الحديثة لا توقف مصدر نشأتها إلى الحيّز المكاني والزّماني الذي نشأت فيه وإنّما تذهب إلى أنّ إرهاصاتها وُجدت قبل الفترة الأموية ببعيد."[1] لذا تشعّ النّزعة الإنسانيّة في الشّعر العربيّ القديم إشعاعا.

ومن الجدير بالذّكر أيضًا أنّ النزعات المادية في الشعر العربي القديم لم تكن مجرد رغبة في الثراء، بل كانت تعكس بعض الأحيان تحولات في المجتمع والحياة الاجتماعية والاقتصادية، والتي كان يعيشها الشعراء والمجتمعات التي ينتمون إليها.

على الرّغم من الوعي البسيط لشعراء عصر ما قبل الإسلام، فقد تمكّنوا من تسليط الضّوء على معظم آثار المال على التفاعلات الاجتماعية، فيمكن للمال –حسبهم –أن يفسد المرأة، ممّا يؤدي إلى انفصال صريح وغضب من زوجها الذي يحب المال، كما قال المرقش الأصغر:[2]

آذَنَتْ جارَتِي بِوَشْكِ رَحيلِ باكِراً جاهَرَتْ بخَطْبٍ جَلِيلِ[3]

أَزْمَعَتْ بالفِراقِ لَمَّا رَأَتْنِي أُتْلِفُ المالَ لا يَذُمُّ دَخِيلي[4]

ثم ينحسر الوعي وينعى أولئك الذين يتراكمون غير مكترثين بشكوك الزمن، مؤكدًا أن الرزق مقدّر ومُحتوم، وليس ثمرة الجهد والاجتهاد:

---

1 الشّعر العذري في ظلّ النّقد الحديث. ص 38.

2 يُنظر: الأيجابية والسّلبية في في الشّعر الجاهلي. ص 133

3 المرأة جارت زوجها لأنه مؤتمر عليها. والقصيدة في المفضليات، ص 250، دار المعارف بمصر، 1964م.

4 أزمعت: عزمت. دخيلي: من يدخل إليّ. يريد أنه يتلف المال لئلا يذمه الضيف.

عجباً ما عَجِبْتُ لِلْعاقِدِ الما لِ ورَيْبُ الزَّمانِ جَمُّ الخُبُولِ[1]

أَجْمِلِ العيْشَ إنَّ رِزْقَكَ آتٍ لا يَرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرْوى فَتِيلِ[2]

وهذا محرز بن المكبر[3] جعل ماله فدية لقومه وخدمتهم. ولما تصاعدت الأزمات وحدثت ساعة المعركة أتاح أمواله كلّها لشعبه:

فِدىً لِقَومِيَ ما جَمَّعتُ من نَشَبٍ إذ لَفَّتِ الحَربُ أَقوَاماً بِأَقوامِ[4]

وإذا أرادت زوجة المرقّش الأصغر تركه لأنّه لا يحب المال، فقد عابت زوجة عبيد بن الأبرص قلّة مال زوجها وانتقدت حالته، فخيّرها بين الفراق والبقاء على هذه الحال، يقول[5]:

تِلكَ عِرسي تَرومُ قِدماً زِيالي أَلِبَيـــــــــــنٍ تُرِيدُ أَم لِدَلالِ

أَو يَكُن طِبُّكِ الزِيالَ فَإِنَّ ال بَينَ أَن تَعطِفي صُدورَ الجِمالِ

إِن يَكُن طِبُّكِ الدَلالَ فَلَو في سالِفِ الدَهرِ وَاللَيالي الخَوالي

فَاِترُكي مَطَّ حاجِبَيكِ وَعيشي مَعَنا بِالرَجـــــــاءِ وَالتَّأْمالِ

1 العاقد المال: الذي يجمعه ويعقده. والخبول: جمع خبل، وهو الفساد.

2 الترقيح: إصلاح المال والقيام عليه. الشروى: المثل. الفتيل: الخيط الذي في شق النواة.

3 جاهلي من بني ضبة، انظر أخباره في المفضليات ص 251، دار المعارف بمصر، 1964م.

4 النشب المال الأصيل.

5 البيان والتبيين، ج1/ 236، الطبعة الأولى، القاهرة، 1948م.

يمكن أن يتسبّب المال أيضًا في وفاة صاحبه إذا سعى لجلبه عن طريق الغزو. وإذا أرادت الزّوجتان السّابقتان ترك زوجيهما بسبب قلّة المال، فإنّ زوجة مداد بن عمرو تمثّل ضميرًا مغايرا، لأنّها تهتم بزوجها وتخشى أن يُقتل إذا ذهب غازيا، على حد تعبيرها، فيقول على لسانها: [1]

تقول أقم فينا فقيراً وما الذي ترى فيه ليلي أن أقيم فقيرا [2]

1 الإيجابية والسّلبية في الشّعر الجاهلي. ص 134.

2 يُنظر أخباره في جمهرة أشعار العرب، ج1، ص 54، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م. ويُنظر الأبيات في الأغاني، ج13/ 113، طبعة بولاق، 1920م.

خاتمة

خاتمة:

نأمل من خلال هذا البحث أن نكون قد ألقينا الضّوء على الشّعر العربي القديم وخصائصه المميّزة وموضوعاته المتكرّرة وأهميته في السّياق الثّقافي والأدبي. من خلال استكشاف العلاقة بين الواقع والخيال، والصّورة الشّعرية والتّعبير عن القيم الإنسانية، ممّا يدفعنا إلى تقدير جمال وعمق هذا الشّكل الفني الذي ترك إرثًا دائمًا في التّاريخ الأدبي.

وقد رأينا أنّ الشعر العربي القديم يتميّز بمزيج فريد من الواقع والخيال، وكذلك استكشافه للمساحات المكانية والزمانية. إنه يلتقط جوهر التجسيد، سواء في الحواس المادية أو المجازية، أثناء التنقل في التوازن الدقيق بين المحاكاة والخيال، وينسج الشعر العربي القديم ببراعة صوراً شعرية تتأرجح بين الرسم من الخيال ونقل حقائق العالم.

تُظهر هذه الصّور الشعرية القدرة على إثارة الحواس وكشف الأفكار العميقة، مما يخلق نسيجًا غنيًا من المشاعر والأفكار. يُظهر الشعر العربي القديم السعي الحثيث للنمو والتعبير عن الذات، مع الاعتراف بالشعور المتأصل بالانتماء والحتمية الذي يصاحب الوجود البشري.

في عالم الشعر العربي القديم، يوجد جدل بين القيم الإنسانية والميول المادية. تعكس أشعار القدامى الصراع بين التمسك بالقيم الإنسانية الخالدة والاعتزاز بها وتأثير الميول المادية. ويؤدي هذا التوتر إلى تأمل عميق في الطبيعة البشرية والديناميكيات المجتمعية.

بينما يحتفل الشعر العربي القديم بتجاوز القيم الإنسانية، فإنه يصارع أيضًا التحديات التي تفرضها الرغبات المادية. يطرح هذا الصراع المتأصل مشكلة معقدة بالنسبة للشعراء، حيث يتعاملون مع التوازن الدقيق بين اعتناق الفضائل الإنسانية والاعتراف بجاذبية الإغراءات المادية.

وقد رأينا أنّ الشعر العربي القديم، في جوهره، يقدم نسيجًا غنيًا من الموضوعات والزخارف، ويمزج بين الواقع والخيال، والتجسيد والمحاكاة، والعاطفة والحتمية. يستكشف أعماق الوجود البشري والتفاعل المعقد بين القيم الإنسانية والميول المادية. من خلال رؤى عميقة وتعبيرات غنائية، لا يزال الشعر العربي القديم يأسر الجماهير عبر الأجيال ويتردد صداه، ويشهد على القوة الدائمة للفن الشعري.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده. الجزء الثّاني، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط2، ، مطبعة السّعادة، القاهرة، 1374هـ/ 1955.
2. أسامة بن منقذ. البديع في البديع في نقد الشّعر. تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1960.
3. الثعالبي، أبو منصور. لباب الآداب. تحقيق أحمد حسن لسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.
4. جمال الدين الخضور. قمصان الزمن. فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
5. جميل سلطان. زهير شاعر أهل الجاهلية. دار الأنوار بيروت، ط1، 1973.
6. حبيب مونسي. فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة موضوعاتية جمالية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

7. دانييل، هنري باجو. الأدب العام والمقارن. ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997

8. شجاع العاني. قراءات في الأدب والنقد، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999.

9. صاحب خليل إبراهيم. الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2000.

10. طراد الكبيسي. في الشعرية العربية: قراءَة جديدة في نظرية قديمة. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

11. عبد الملك مرتاض. السبع المعلقات: مقاربة سيمائية- أنتربولوجية لنصوصها. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

12. عكام، فهد، الشعر الأندلسي نصاً وتأويلاً، دار الينابيع، دمشق، 1995.

13. فاروق أحمد اسليم. الانتماء في الشعر الجاهلي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

14. فاطمة تجور. المرأة في الشعر الأموي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

15. محمد الصالح السليمان. الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2000.

16. محمد عبد المنعم الحِمْيَري، تحقيق إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

17. ميخائيل عيد. أسئلة الحداثة بين الواقع والشطح: آراء. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1998.

الدّواوين:

1. ديوان ابن زيدون ورسائله. تحقيق علي عبد العظيم، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

2. ديوان الأخطل. شرحه وصنّف قوافيه مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994.

3. ديوان العرجي. تحقيق خضر الطّائي ورشيد العبيدي. الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد، ط1، 1956.

4. ديوان المتنبي. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1983.

5. ديوان النّابغة الجعدي. تحقيق واضح الصّمد، دار صادر بيروت، ط1، 1998.

6. ديوان جرير. دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، 1986.

الرّسائل:

- العربي حمدوش. النّزعة الإنسانيّة في شعر صعاليك الجاهليّة. رسالة ماجستير، قسم الآداب واللّغة العربية، جامعة قسنطينة1، 2012-2013.

المجلاّت:

1. مجلة الدّراسات العربية، كلّية دار العلوم، جامعة المنيا، م 38 العدد7، يوليو 2018.

2. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 2 العدد 10، أكتوبر 2021.

3. مجلة دواة، العراق، المجلد5، العدد 18، 2018.

4. مجلة كلّية التّربية، عين شمس، العدد 25، الجزء 3، 2019.

الفهرس

الفهرس

مقدّمة	**أ-ث**
مدخل: الشّعر العربيّ القديم: خصائصه ومضامينه.	**ص 02**
الفصل الأوّل: الوصف في الشّعر العربيّ القديم بين الو اقع والخيال.	**32-09**
المبحث الأوّل: الحيز المكاني والحيز الزّماني والتّجسيم والتّجسيد.	**ص 09**
المبحث الثّاني: المحاكاة والتّخييل بين التّضافر والتّنافر.	**ص 21**
الفصل الثّاني: الصّورة الشّعرية بين رسم الخيال ونقل الواقع.	**52-34**
المبحث الأوّل: الصّورة الشّعرية بين سلطان الحواس إيحاءات الخواطر	**ص 34**
المبحث الثّاني: الصّورة الشّعريّة بين شغف النّماء وحتمية الانتماء.	**ص 42**
الفصل الثّالث: الشّعر العربيّ القديم بين القيم الإنسانية والنّزعات المادّيّة:	**66-54**
المبحث الأوّل: جدلية القيم الإنسانيّة في الشّعر العربيّ القديم.	**ص 54**
المبحث الثّاني: إشكالية النّزعات المادّيّة في الشّعر العربيّ القديم.	**ص 61**
خاتمة	**ص 68**
المصادر والمراجع	**ص 71**
الفهرس	**ص 76**
الملخص	ظهر المذكّرة

الملخّص:

يسعى هذا البحث إلى استكشاف الواقعية المادّية في الشعر العربي القديم، ويدرس خصائصه ومحتوياته والتّفاعل بين الواقع والخيال. ويتعمق في الجوانب المكانية والزّمانية للوصف الشّعري، وكذلك تجسيد المشاعر والأفكار. كما يناقش أيضًا العلاقة بين المحاكاة والخيال، ويسلّط الضوء على كلٍّ من التّضافر والتّنافر. بالإضافة إلى ذلك، يستكشف قوّة الصّور الشّعرية، ويحلّل قدرتها على الرّسم من الخيال أثناء نقل الواقع. يدرس البحث كذلك الصّورة الشّعرية فيما يتعلّق بالحواس والأفكار والنّمو ومفهوم الانتماء، ويتناول الجدلية بين القيم الإنسانية والميول المادّية في الشّعر العربي القديم.

الكلمات المفتاحية: الشّعر العربي القديم، الواقعية، المادّية، الخيال، القيم الإنسانية.

Abstract:

This research aims to explore material realism in ancient Arabic poetry, examining its characteristics, contents, and the interaction between reality and imagination. It delves into the spatial and temporal aspects of poetic description, as well as the embodiment of emotions and ideas. It also discusses the relationship between imitation and imagination, shedding light on both convergence and divergence. Additionally, it explores the power of poetic imagery and analyzes its ability to depict imagination while conveying reality. The research also studies poetic imagery in relation to the senses, ideas, growth, and the concept of belonging, addressing the dialectic between human values and material inclinations in ancient Arabic poetry.

Keywords:

ancient Arabic poetry, realism, materialism, imagination, human values.